روائع المسرح العالمى
٦٦

عرفوا ما يريدون

تأليف : سدنى هوارد
ترجمة : عبدالله حسين
مراجعة : على جمال الدين عزت
تقديم : أنيس منصور

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

مقدمة

بقلـم : انيس منصـور

السعادة ليس لها تاريخ !

فنحن لا نعرف الا التعساء من المحبين ، والا الفقراء من النـاس .

والسعادة كالموت ، نهاية .

ولكن الحرص على السعادة والبحث عنها ، والعذاب من أجلها — هى البداية التقليدية لكل صراع فى القصة ، وفى المسرحية . والتاريخ قد سجل لنا هذا الصراع ؛ ولم يسجل لنا سطرا واحدا عن الذين أحبوا وعاشوا فى « التبات والنبات » ..

وروميو وچوليت ..

وكل روميو وكل چوليت ؛ هذا الثنائى الخالد فى الأدب .. ثنائى العذاب حتى الموت ، أو الحب حتى الموت ..

وليلى والمجنون .. وقيس ولبنى .. وكثير وعزة .. وجميل وبثينـة ..

والشاعر دانتى وحبيبته بياتريتشه ..

والشاعر بتراركه وحبيبته لورا ..

والأديب بوكاتشيو وحبيبته فيامتا ..

والقديس أبيلار وحبيبته هلويزه ..

والشاعر توفالس وحبيبته صوفيا ..

والفيلسوف كيركجورد وحبيبته رجينا ..

والشاعر ريلكه وحبيبته نعمت علوى ..

وغيرهم من الذين عرفوا الطريق الى السعادة .. ولم يعرفوا السعادة . ولأنهم لم يعرفوا السعادة عرفهم التاريخ ..

ثم قصة الفتاة فرانشيسكا وحبيبها باولو ..

هذه القصة بالذات لها دلالة خاصـــة ، بالنسبة لمسرحية « عرفوا ما يريدون » . انها قصة الفتاة الجميلة التى بعث بها أخـــوها الأمير لتكون زوجة لأمير آخر فى مدينة ريمينى . وذهبت الفتـــاة الجميلة وقابلت الأمير وكان قبيح الشـــكل والخلق . واستسلمت لارادة أخيها الأمير . ولكنها فوجئت بأن لزوجها أخا جميلا رقيقا فى مثل سنها ، وفى مثل أحلامها . وأحبت باولو الأخ الأصغر لزوجها .

وعرف الناس أمر العاشقين . ونفذ فيهما حكم الاعـــدام

وقد قابلهما الشاعر دانتى فى « الجحيم » ،وأشار الى فرانشيسكا فى النشيد الخامس . وروت له فرانشيسكا لماذا أحبت ولماذا كان لابد أن تحب !

وأصبح غرام فرانشيسكا مادة لمؤلفى الموسيقى والمسرحيات . انها مأساة الفتاة التى خطبت لرجل لا تعرفه فوجدت رجلا آخر تعرفه . فأحبت الذى عرفته . ومات الاثنان من أجل الحب . أو مات الاثنان فى عناق أبدى !

وسيدنى هوارد (١٨٩١ — ١٩٣٩) مؤلف مسرحية « عرفوا ما يريدون » اتهمه النقاد بأنه أخذ مسرحيته من هذه القصة القديمة . فهو أيضا قد جعل بطلة مسرحيته فتاة تعمل جرسونة . وهى تعيسة فى حياتها ، وتلقت خطابا من رجل لا تعرفه يعرض عليها الزواج . وجاء فى خطاب هذا الرجل أنه صاحب مزارع للكروم . ووافقت على الفور . وفوجئت بأن صديقا له كان يكتب خطاباته ، وأن هذا العريس كان عجوزا وأنه أرسل بصورة صديقه الشاب بدلا من صورته . وفى ليلة الزفاف تحطمت السيارة بالعريس . وتحطم العريس . وفى تلك الليلة ، وتحت تأثير الصدفة ، وفى نشوة النبيذ وحلاوة الرقص عانقت الصديق وحملت منه . واعترفت لزوجها . وقررت أن تهرب مع الصديق . ولكن الزوج الغنى الذى يحرص على أن

يكون له وريث بأى ثمن يتمسك بهـا ويستبقيها ويطـرد الصديق ..

فالمسرحية اذن قريبـة فى معنـاها من قصـة « باولو وفرانشيسكا » .

ولكن المؤلف سيدنى هوارد لا ينفى عن نفسه هـذه التهمة . بل انه يواجه قضية الاقتباس هذه وينصح كل الأدباء الشبان أن يقتبسوا « عقدا » روائية أو مسرحية اذا لم يسعفهم خيالهم بابتكار عقدة جديدة .

فالفكرة لا تهم . والعقدة نفسها لا تهم أيضا .

وانما الذى يهم هو : كيف يتناول الكاتب عقـدة قديمة بأسلوب جديد .. المعالجة هى التى تهم .. الاقتراب من العقدة وحلها وعرضها والاقناع ، والاقتناع عن طريقها هو الذى له كل القيمة !

وسواء كان سيدنى هوارد جادا أو ساخرا ، فانه على حق فيما يقول ..

فالأفكار كلها موجـودة فى رؤوس الناس . ولكن الفن ليس الفكرة ، وانما معالجة الفكرة . والمعالجة هى التى تسمى « بالأسلوب » ؛ فالفن هو الأسلوب . والفنان هو أسلوبه !

وتصادف أن ظهرت فى أمريكا مسرحية يوجين أونيل التى

اسمها « رغبة تحت شـجر الدردار » . والمسرحية تعرض مشكلة شاب أحب زوجة أبيه وأنجب منها طفلا ..

والمسرحيتان تعالجان فكرة واحـدة هى الحب الحـرام أو هى الحب بحسن نية .. أو هى الحب الذى يقهر كل القيم الأخلاقية . فلا يملك الشباب الا أن يستسلم للحب . أو يستسلم لطبيعة الشباب نفسها .

فبطل مسرحية أونيل رجل عجوز تزوج فتاة شابة ..

وبطل هذه المسرحية عجوز اقترن بفتاة ..

فكأن الرجلين قدّرا منذ البداية أن هذا الحب لا يمكن أن يستمر . ان الاختيار نفسه هو المبرر الوحيد للخيـانة . ان الاختيار نفسه هو الذى يغرى كل منهما بادراك التناقض الشديد بين الزوج الذى ودعته الحياة وبين الزوجة التى هى الحيـاة نفسها !

وقيل أيضا ان مسرحية سـيدنى هـوارد قد أخذت عن الأسـطورة الأوربية القديمة « تريستان وأيزولت » . وهى الينبوع الذى لا يجف لكل الأدب الأوروبى والأوبرات .. بل ان بعض النقـاد يرى أن أسـطورة تريستان وأيزولت ، أو « تريسترام وأيزولد » ، قد خرجت منها كل قصص الحب الحرام .. أو أن هذه لم تعد أسطورة . وانما هى الحقيقة ماتزال

موجودة فى الأدب العالمى الى آخر فيلم صدر عن هوليود ؛ الى آخر أى فيلم صـــدر عن أية مدينة فى السينما فى أوروبا أو فى أمريكا أو فى القاهرة !

وهذه الأسطورة « الواقعية » بطلها شاب يتيم الأب والأم اسمه تريستان . وهذا الاسم يدل على الحزن والأسى . وقد تولى خاله الملك كورنول تربيته فى قصوره الفخمة .

ولما كبر هذا الشاب تريستان ظهرت عليه علامات البطولة والفروسية .. الجسمية والأخلاقية . وقد تعرض فى طريقه لأحد الأبطال الايرلنديين فقتله . هذا الايرلندى اسمه مورهولت . وأسفرت هذه المعركة عن جرح أصـــاب تريستان من سهم مسموم .

ويبدو أن تريستان قد هزل جسمه وساءت حالته النفسية . فطلب الى أصدقائه أن يضعوه على ظهر زورق . والزورق بلا شراع . وأمر بأن يتركوا الى جواره سيفا وقيثارة !

ودفعته مياه البحر الى شواطىء ايرلنده ..

وقرر أن يروى قصته لملكة ايرلنـــدا لعـــلها تساعده . ولما اكتشف أن القتيل هو أخو ملكة ايرلندا غيّر اسمه ..

وكانت لهذه الملكة ابنة اسمها آيزولت ..

وتولت ايزولت عــلاج الفتى تريستان حتى التأم جرحه واستعاد صحته ..

وحدث بعد سنوات أن فوجيء الملك كورنول بطائر يحمل فى منقاره شعرة ذهبية . فقرر أن يتزوج من صاحبة هــذا الشعر ولم يجد الا تريستان يتولى مهمة العثور على صاحبة الشعر الذهبى .

وعاد تريستان الى الزورق فركبه واتجه الى ايرلندا . وقبيل الشاطيء تعرض له أحد وحوش البحر الذى يهدد عاصــمة ايرلندا . وقتله تريستان . وأسفرت المعركة طبعا عن جــرح يحتاج الى عناية آيزولت .

واكتشفت آيزولت أن تريستان هو الذى قتــل خالهــا مورهولت . ورفعت السيف تنتقم منه . وهنا أعلن لها تريستان عن رغبة خاله الملك فى أن يتزوجها . وأنزلت السيف وأخذت تحلم بالعرش .

وسافر الاثنان معا . وكانت مــع آيزولت خادمتها التى قدمت للاثنين شرابا أعدته الملكة لابنتها العروس . ولم تدر الخادمة أن هذا الشراب سيربط الاثنين برباط الحب . وأن هذا الحب هو الذى سيؤدى الى هلاك الاثنين معا . فهو شراب الحب ، وهو حب حتى الموت . واعترف الاثنان بأنهما

فى حالة حب . وأنهما الحب . وذهب تريستان يقدم العروس الى خاله .

وفى ليلة الزفاف جاءت الخادمة ونامت فى فراش سيدتها . فسيدتها لا تطيق أن يقترب منها الملك . فهى تحب تريستان . وشراب الحب مفعوله يسرى لمدة ثلاث سنوات . هكذا تؤكد الأسطورة . وفى رواية أخرى يقال ان مفعوله خمس سنوات .. ويقال مدى الحياة !

وعرف رجـال القصر قصة غـرام الاثنين . وطرد الملك تريستان من القصر .

ولكنه عاد فعفا عنه عندما اكتشف طيبة قلبه وسذاجته ..

ولم يخمد الحب فى قلب تريستان وأيزولت . وقرر الملك أن يكتشف بنفسه خيانة زوجته . فوضع سرير تريستان فى غرفة الملك . ورش الأرض بالدقيق . وطلب من تريستان أن يسافر فى مهمة عاجلة . وقرر تريستان أن يقبل حبيبته قبل أن يسافر . ولما وجد الأرض مغطاة بالدقيق قفز من سريره الى سرير الملكة فانفجر فى قدمه جـرح قديم . فتلوث الدقيق بالدم .

وقرر الملك اعدام الاثنين فى يوم واحد . وتمكن تريستان من انقاذ ايزولت والهرب معها الى الغابات . وبقى الاثنان

ثلاث سنوات أليمة . وفى يوم ذهب الملك الى الغابة فوجد الاثنين نائمين تحت شجرة . وقد وضع تريستان سيفه بينه وبين ايزولت . وتأثر الملك لهــذه السذاجة . فرفع سيف تريستان ووضع سيفه هو !

ولما صحا الاثنان من النوم عادا الى المدينة يطلبان عفــو الملك . وعفا عنهما . وقرر تريستان أن يترك الملكة فى حالها .. وفى نفس الوقت صارحها أنه على استعداد أن يعود اليها اذا أساء الملك معاملتها ..

وانطلق تريستان يتنقل من بلد الى بلد ..

ولم ينس ايزولت . وتزوج فتاة اسمها ايزولت أيضا . الأولى كان يسميها ايزولت الشقراء والثانية كان يســميها ايزولت البيضاء .

وعندما أحس باقتراب الموت طلب من زوجته البيضاء أن تستدعى الملكة الشقراء لكى يراها قبل أن يموت . وطلب اليها أن تجىء فى زورق له شراع أبيض . لكى يراها عن بعد . ووعدت الملكة بزيارته . ورأت الزوجة اقتراب زورق الملكة . وكان شراعه أبيض . ولكن الغيرة جعلت الزوجة تقول لزوجها : لقد اقترب الزورق . ولكن شراعه أسود .

ومات تريستان من الحزن .

وجاءت ايزولت ورأت حبيبها وعانقته حتى الموت .. ومات الاثنان فى عناق الى الأبد !

* * *

وفى هذه الأسطورة كل جذور مسرحية سيدنى هوارد ، وكل مسرحيات وقصص الأدب الحديث . فأسطورة تريستان وايزولت قد كانت متعة العصور الوسطى فى أوروبا كلها ..

وفى هذه الأسطورة كل بذور الحب والبراءة والشر ، والحب الحرام ، والحب حتى الموت ، والحب بأى ثمن . والزواج بأى ثمن ، والزواج بلا مقابل ..

وفيها زواج الملك وحب المواطن عادى ..

ولا عيب فى أن يقتبس أى كاتب من هذه القصة ما يعجبه ، وأن يعالجه على النحو الذى يراه ..

والذى أخذه سيدنى هوارد من هذه الأسطورة ليس بالكثير . ولكنه أخذه من منجم عامر .. وارتوى من بئر لا يجف ..

وسيدنى هوارد بروحه الخفيفة وبراعته تناول هذه المسرحية وخلط الدموع بالابتسامات . وخصوصا فى نهاية المسرحية عندما كان على الزوج العجوز أن يختار بين أن تبقى زوجته التى خانته فى أول ليلة ، وبين حرصه على أن يكون له

ابن . ان المؤلف قد تناول هذا الموقف بمنتهى الرقة والرفق . وأى ضغط من جانب المؤلف كان يحيل الموقف الى مأساة أو الى مهزلة . والموقف فى الحقيقة هو ضحك يبعث على الأسى ، وأسى يبعث على الضحك .

وليس فى نيتى أن ألخص المسرحية ، فأفسد بذلك متعة القارىء . وانما أحاول أن أعرّف المؤلف نفسه . انه صحفى وروائى ومسرحى ومؤلف عدد كبير من سيناريوهات الأفلام السينمائية .

ولكن معظم أعماله الفنية كانت اقتباسا من الأدب الأوروبى . وقد اشترك مع عدد كبير من الأدباء والعلماء فى معظم أعماله الفنية . ومن أهم مؤلفاته : « السيوف » (١٩٢١) وهى من الشعر الحر . « وعرفوا ما يريدون » (١٩٢٤) التى فازت بجائزة بوليتزر والتى تحولت الى مسرحية موسيقية غنائية عام ١٩٥٧ باسم « الرجل السعيد جدا » . و «المسحورة» (١٩٢٤) و « الحمى الصفراء » (١٩٢٤) بالاشتراك مع العالم الكبير بول دى كرويف .. و « السعيد سام ماكارفر » (١٩٢٥) .. و « ابنة ند ماكوب » (١٩٢٦) .. و « الرباط الفضى » (١٩٢٦) .. و « المرحوم كريستوفر بين » (١٩٣٢) واقتبس « أوليمبيا » (١٩٢٨) و « مارسليا » (١٩٣٠)

و « سبيل المجد » (١٩٣٥) . وظهرت له أول مجموعة قصصية بعنوان « ثلاثة سلالم الى أعلى » ، وقد أهداها الى زوجته الممثلة كلير آيمز .

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى كان طيارا فى سـلاح الطيران الأميركى . وعمل مراسلا حربيا لمجلة « لايف » فيما بين ١٩١٩ و ١٩٢٢ . واشتغل محررا أيضا فى صحف « هيرست » الكثيرة جدا فى أمريكا .

وكان رئيسا لتحرير عدد من المجلات ..

وأهم « خبطاته » الصحفية ما كتبه عن حوادث التجسس وعن عصابات تهريب المخدرات الى أمريكا ..

ولكن سـيدنى هوارد قد اشـتهر بالثقافة الفنية حتى فيما كتبه من تحقيقات صحفية . فقد كان يميل الى تحويلها الى مواقف درامية . وان كان لا يبعد عن الحقيقة . فقد كان شديد الاهتمام بالشكل الفنى ..

ولكن شهرته الأدبية قد بلغت قمتها بمسرحية « عـرفوا ما يريدون » والتى حرص عـلى أن يكتبها باللهجة المحلية لولاية كاليفورنيا . وسيدنى هوارد مشهور جـدا بمعرفته الواسعة بلهجات الولايات الأمريكية .

ولأن هذه المسرحية مكتوبة بلهجة محلية جدا ، ولأن

شـــكل الكلمات يتفق مـــع الطريقة التى ينطقها بها أبطال المسرحية ، فقد بدت غامضة حتى بالنسبة للأمريكان أنفسهم ..

أما فيما يتعلق بأبطالها من الايطاليين فقد جعلهم يتكلمون على هواهم وعلى حسب معلوماتهم المحددة فى اللغة الانجليزية من ناحية النطق والنحو ..

ولذلك فأنا أعتقد أن المترجم قد تعب فى نقلها الى العربية الفصحى ، رغم أنهـــا مكتوبة بالعـــامية الأمريكية جـــدا .. بل بالعامية الضيقة والخاصة باحدى الولايات الأمريكية !

ولكن المترجم أفلح فى أن ينقلها بأمانة . وقد كلفته هذه الأمانة الكثير من الجهد . يكفى أن تعرف أنه توجد قواميس أمريكية متعددة اللهجات للولايات المختلفة . وأن هذه القواميس ليست فى متناول الكثير من الناس . وقد اضطر المترجم الى أن يتصل شخصيا بعدد من الأساتذة الأمريكان ليستوضح مالم يستطع فهمه من القاموس . وهو ولا شك مجهود تحتمه الأمانة العلمية والأخلاقية ، وهى شىء أعلى وأسمى من هذه المسرحية !

وانتهت حياة سيدنى هوارد فجأة .

انتهت وعلى مكتبه عدد كبير من الكتب لم يفرغ منها . من بينها كتاب له عن « حياة بنيامين فرانكلين » الدبلوماسى

الفيلسوف .. وكتاب آخر عن « الحياة فى المدن » والمشروعات بأقلام كثيرة .

ولابد أن سيدنى هوارد كان مشغولا بهذه الكتب معا ، والا فكيف يسقط فجأة تحت عجلات احدى الجرارات التى يملكها فى مزرعته الكبيرة .. انه لم يكن مخمورا ولا كان يشكو من الكبد حتى يصيبه بدوخة واغماءة .. ولم يكن يشكو من ضغط الدم .. ولا كان قلبه ضعيفا .. فقط ان هذه الكتب استغرقته حتى أغرقته فى دمه ، وفى أرضه ، فى الأيام الأخيرة من عامه التاسع والأربعين !

شخصيات المسرحية

« حسب ترتيب ظهورها »

چــو
الاب ماكى
آچى
تونى
موزع البريد
آمى
انچلو
چورچيــو
الطبيب
الأم الايطالية الأولى
ابنتهــا
الأم الايطالية الثانية
ابنهــا



المنظـــر

منزل أحد ملاك مزارع الكروم فى وادى (نابا) بكاليفورنيا.
تجرى الأحداث جميعها فى الغرفة الرئيسية بالطابق الأرضى ، وهى تستخدم كغرفة للجلوس والمائدة .

ويجدر التنويه بأن البيت ليس مبنيا على الطراز الأسبانى بل يكفى فى الواقع ان يكون ملائما لاقامة متواضعة لأحد مزارعى الغرب الأوسط المحترمين ، فهو مشيد من الخشب فى العقد الأخير من القرن الماضى ، ومطلى من الخارج باللون الأبيض ويتكون من طابق واحد .

فى الخلف باب بمثابة المدخل الرئيسى للبيت ، ويفضى الى الدهليز . الى اليمين باب آخر ينتهى بثلاث درجات تؤدى الى المطبخ الذى يعلو عن مستوى الغرفة قليلا ، وهو قائم بحيث يستطيع النظارة رؤية ما بداخله فيبدو مكتمل الأثاث . الى اليسار باب ثالث ينتهى بعـدة درجات مائلة تؤدى الى خزانات المئونة .

ثمة باب رابع يقع الى اليسار أيضا اقريبا من مقـــدمة المسرح وهو يفضى الى غرفة النوم .

الحائط الخلفى به نافذتان ، واحـــدة على يمين الباب الرئيسى وهى ذات « مشربية » ، وعلى اليسار نافذة اخرى مزدوجة ذات قاعدة عريضة .

البيت يطل على واد يقع فى حضن روابى كاليفورنيا الداكنة. المنظر تتخلله رقع زراعية متباينة تشغل بساتين الفاكهة جزءا منه ، اما مزارع الكروم فتحتل الحيز الأكبر من المنظـر ، اذ

تبدو مقدمة الصورة مليئة بالكروم . كما ترى اشجار الكروم محتضنة أعمدة الدهليز وملتفة حولها . فى مطلع الرواية يكون الوقت صيفا فتبدو العناقيد صغيرة وخضراء . اما فى الفصل الأخير — بعد انقضاء ثلاثة شهور — فنراها قد كبرت وغـــدا لونها إرجوانيا .

مؤخرة المسرح معدة بحيث يبدو كل مقبل من الطـــريق الرئيسى نحو البيت كما لو أنه يتسلق درجات الدهليز من مكان اكثر انخفاضا . كما يقتضى الأمر احيانا أن تروح الشخصيات وتجىء فى مستوى البيت نفسه حيث تقع ساحة المزرعة .

وفى داخل الغرفة يبدو الورق الملصق على الجـــدران والسجاد فى ثوب جديد زاه . تتدلى فوق النوافذ انـــواع رخيصة من ستائر (الدانتلا) .

الأثاث جديد ، ويتكون من منضدة الطعام مصنوعة من خشب البلوط الذهبى اللون وطـــاقم من الكراسى من نفس الطراز . كما يرى كرسى مغربى (١) وكرسى آخر ذو مساند ، وصوان ، ونضد (٢) وحمالة قبعات .

صورة (غاريبالدى) معلقة على احد الجدران ، وفوق الباب الرئيسى نرى صورة اخرى لجورج واشنجطون . على الجدران عدة زينات اخرى منها اعلان كبير لهيئة الملاحة العامة الايطالية، وصورة ملونة لطبيعة صامتة واخرى دينية ، ثم مرآة صغيرة .

تتدلى من حمالة القبعات بندقية ذات قصبتين ولهــــا حزام طلقات معبأ . المنظـر عامة يوحى بالبهجـــة وبساطة الحياة .

---

(١) كرسى متحرك الظهر ذو مساند ومخدات يمكن انتزاعها .

(٢) توضع عليه أدوات الأكل .

الفصل الأول

تمتزج ألوان ايطاليا الحمراء والبيضاء والخضراء بألوان الولايات المتحدة الحمراء والبيضاء والزرقاء المتمثلة فى الأعلام و أشرطة الورق الملون ، وخصلات الريش الزاهية ، وقصاصات القماش — يمتزج كل ذلك ليكون ضربا من الزخرف اقل ما يقال عنه انه صارخ .. صورة غاريبالدى يزينها علم أمريكى ، صورة واشنجطون يزينها علم ايطالى . ضوء الشمس الباكرة ينساب متألقا الى الداخل عن طريق الباب والنوافذ .

على أرض الغرفة عدة صناديق متناثرة ، ترى فوق احدها كعكة زفاف بديعة يعلوها تمثال لعروسين نموذجيين يقفان أسفل جرس . الصناديق جميعها تحمل هذا العنوان :

« تونى باتوتشى
نابا ، كاليفورنيا »

(آجى) واقف فوق سلم قائم فى الدهليز خارج الباب الرئيسى المفتوح وقد انهمك فى تعليق فوانيس صينية ، وهو رجل صينى ، صامت ، نحيل لا يمكن التكهن بعمره على وجه التحديد . يلبس حلة عمل زرقاء وقميصا أسود من القطن .

(چو) وهو شاب أسمر حلو القسمات وان كان غير مهندم — منهمك فى فتح احدى اللفافات وسط المسرح ، وقد أولى الباب ظهره .

چو (يدندن اثناء العمل بأغنية « تذكر » على أنغام لحن « دافع عن الحصن »)

« اننا تتحدث اليك اليوم من السجن ،
مائتى رجل من رجال الاتحاد .
لقد جيء بنا الى هنا لأن قوانين الرؤساء
جلبت لنا العبودية مرة أخرى .. » .

على هذا المشهد يرتفـــع الستار ، ويرى (الأب ماكى) صاعدا درجات السلم الخارجى ، وهو يرتدى رداء وقورا من أردية القسس الكاثوليكيين ، وان كان غير نظيف تماما ، فقد شابه ما تيسر من البقع والتراب وغير ذلك . (الأب ماكى) يومىء براسه لاچى ويقبل نحو الباب حيث يقف قليلا ليمسح وجهه الضخم الشاحب بمنديل حريرى أحمر . ثم يبدى استياء يتسم بالسخرية من كل شىء يقع تحت ناظريه ، ويتثاءب .

انه من ذلك النوع من الكهنة الذين لا يمكنهم أن يذكروا شيئا الا ليستهجنوه . على ان طريقته فى ذلك خاصـــة به : فهى تبدأ بالتوقف عن اصدار اى صوت من حلقه لفترة طويلة تبلغ مداها بانفجار صوتى يصل الى المقطع البارز للكلمة التى يعتمد عليها توكيده . ويبدو أن هذه الكلمة توقظه دائما مدة لحظة تغشاه بعدها حـالة أشبه بالنعاس حتى يفـــرغ من تعليقاته .

على انه فيما عدا ذلك طيب القلب ، لطيف المعشر . انه نسخة امريكية لكاهن القرية الفرنسى .

الأب ماكى : ايه چو !

چـــو : مرحى يا أبتاه .. ما رأيك ؟

الأب ماكى : انه ليبدو لى بيتا من بيوت الفسق .

چـــو : سيكون ثمة احتفال هنا .. آكمام من الزنبق .. ما رأيك فى هذه الطريقة ؟

الأب ماكى : أين تونى ؟

چـــو : (يومىء الى باب غرفة النوم) انه هناك يأخذ زينته .. هاى أيها العريس ! ان الأب هنا .

الأب ماكى : لقد جئت الى هنا لأتحدث الى تونى فى أمر هـــام .

چـــو : بالله عليك لا تزده اضطرابا ، فلديه ما يكفيه .. انه قابع لا يريم طوال هــــذا الصباح يخشى الذهاب لملاقاة عروسه .. يجدر بك أن تتركه وشأنه .

الأب ماكى : يسعدنى دائما أن أتلقى نصائحك يا چو .. لم يدر بخلدى أنك ما زلت هنا .

چـــو : أوه ، حقا أيها الأب ؟

الأب ماكى : أخبرنى تونى أنك قررت الرحيل .

چـــو : حسنا أيها الأب ، سأنبئك بحقيقة الأمـــر . (يضحك ضحكة غير مهذبة) انى لا أومن بالبقاء فى مكان واحد لمدة طويلة . فليس يجمل بى أن أحرم الأجزاء الأخرى من كاليفورنيا

فرصة تشريفى ؛ على أنى لن أرحل من هنا قبل أن أرى الحفل وأطمئن على زواج تونى ، وأقبّل العروس (يلتفت نحو الباب ثم نحو آچى) هذا بديع يا آچى . من الأفضل أن تنقل أكمام الزنبق هذه الى المطبخ حالما تنجز ما لديك .

(يظهر تونى من باب غـرفة النوم وعليه سيماء العظمة .. انه متين البنيان نحاسى البشرة فى الستين من عمـــره ، يتدفق حيوية وبشرا ، سليم الطـــوية ، دائم الحركة ، كثير الايماءات .

يبدو اليوم وقد ارتدى خير ملابس العطلة ــ حلة ارجوانية انيقة وصـــدرية زاهية ساعدت على ابراز سلسلة الساعة الذهبية الفاخرة ، وقميصا منشى ، وربطه عنق زمردية وقبعة ذات حافة عريضة . يحمل فى يده حذاءه اللامع الجديد ، وقد بدأ العرق ينضح منه بغزارة .)

تونى : انظر الىّ .. انى أوسم شخص فى الدنيا ..

الأب ماكى : لقد جئت لأتحدث اليك يا تونى .

تونى : يســعدنى أنك أتيت يا أبتـــاه . كيف ترى ملابسى .. هه ؟ لقد كلفتنى مبلغا طائلا من النقود . (يلفت نظره للحذاء) من أجـــل القدمين ..

چـو : (يومىء ناحية الكعكة) كيف تبدو لك يا تونى ؟

تونى : بحق السيدة العذراء ! (يلقى بحذائه فى المقعد المغربى .. تنزاح قبعته لتتخذ زاوية مائلة جدا . لا يقدر على رفع يديه من على الكعكة) انظر يا أبتـاه .. انها من « فريسكو » ! صنعت خصيصا ! اثنا عشر دولارا وخمس وعشرون سنتا ! انظر ! (صورة العروسين بالذات تملؤه بالنشوة) انهما تونى وعروسه آمى !

چـو : هذه المصابيح هدية شخصية من آچى .

تونى : شكرا لك يا آچى .. انها لبديعة جدا .. اذهب الآن يا آچى واحضر نبيذا من أجل أبينا .. اه ؟

(ينصاع آچى للأمر حامـلا معه اكمام الزنبق الى المطبخ)

چـو : فلتسرع الآن يا تونى . لقد تجاوزت التاسعة .. وليس من اللائق أن تدع العروس تنتظر .

تونى : (جالسا يعالج لبس الحذاء بصعوبة) انى ذاهب على الفور .

الأب ماكى : لى كلمة معك يا تونى قبـــل أن تتوجه الى المحطة ..

چـــو : كان القس يحاول أن يخبرنى أنك تخشى بقائى حيث أستطيع أن أقبّل العروس (يلتقط علمين ويخرج) .

تونى : (فى ذعر باد) انك لن تقبّل العروس يا چو .. هل سمعت ؟

چـــو : (يسمع من الخارج وهو يغنى) .
« اننا نضحك ونغنى .. لا نهاب شيئا .
قلوبنا دائما مرحة ،
ونعلم أن كل عامل حق .
سوف يواصل النضال » .

تونى : ليذهب الى الجحيم هـذا الفتى الوقح الذى يريد تقبيل حبيبتى آمى .. ولتذهب معه كل أغانيه التى لا يكف عن ترديدها . ألست معى يا أبتاه ؟

الأب ماكى : انى لم آت الى هنا لأتحدث عن چو يا تونى .. لقد جئت من أجل هذا العرس الذى يقام هنا .

تونى : انى لسعيد بمجيئك يا أبتاه . فأنا مذعور للغاية .

الأب ماكى : لديك سبب قوى لمخاوفك اذا شئت أن تعرف رأيى .

تونى : ان لدى سببا خاصا جدا .

الأب ماكى : أى سبب ؟

تونى : لا تبال . هذا هو سرى الذى لن أطلع عليه أحدا . عليك فقط أن تخبر چـو بأن يعجّل بالرحيل يا أبتاه ، وربما صار كل شىء بعد ذلك على ما يرام .

الأب ماكى : ذلك هو السبب ! .. حسنا ، لا تثريب عليك اذن !

تونى : (يستبد به الغضب لهذا التلميح) أوه .. كلا ، بالله ! انك لم تفهم يا أبت . ان چو بالنسبة لى بمثابة الابن .. المسألة غـــير ذلك تماما .. يا سيدتى العذراء ! انه شىء فعلته أنا .. شىء ارتكبه تونى وسيجلب لتونى متاعب لا حصر لهـــا .

الأب ماكى : لن أقول شيئا لچو .. وعليك أنت أن تتحمل تبعة أعمالك . ولكنى أريدك أن تفهـــم أنى

لا يروق لى هذا الزواج الذى يوشك أن يتم هنا .. لن يحظى بموافقتى .

تونى : (يفلح فى ارتداء احدى فردتى الحذاء فيعتدل فى جلسته وقد اعترته الدهشة) .
أنت لا تحبذ الزواج يا أبتاه ؟

الأب ماكى : نعم ، وهذا هو ما أتيت من أجله .. انه لا يروق لى على الاطلاق ، واذا ما أصررت على اتمامه رغم نصيحتى فلا أود أن أسمع منك فيما بعد أنّ أحدا لم يحذرك .

تونى : يا الهى ! (يؤكد هذه الصيحة برسم علامة الصليب . ثم يسترد ثقته بعض الشىء) حسبك ! .. انك ترهقنى أيها القس . أنت تعتقد أن المباهج ليست خيرا للناس .. انكم معشر القسس لا تعرفون شيئا . العمل ! العمل ! اننا نعمل كل يوم ، وقد حان وقت البهجة والمرح ، وبعد المرح يصبح العمل أكثر يسرا (يستأنف معركته مع الحذاء) .

الأب ماكى : انك تعلم جيدا يا تونى أنى لا أعترض على الاحتفالات أكثر مما أعترض على المباهج

الجسدية الأخرى . ولكننى مرشدك الروحى ، ولقد تدبرت أمر هذا العرس فى عقـــلى حتى توصلت الى أننى غير راض عنه . اننى لا أحبذه على الاطلاق ، ولدىّ تعليلات لما أقول .

تونى : (هل خمن الأب سره ؟) وما هى تعليلاتك ؟

الأب ماكى : أولا ليس من مصلحتك أن تتزوج امرأة غـير كاثوليكية .

تونى : (فى ارتياح لا حد له) هذا لا يهم .

الأب ماكى : ان الزواج المختلط ليس أفضل من التردى فى الرذيلة .

تونى : ألست هنا من أجل ابعاد الرذائل يا أبتاه ؟

الأب ماكى : لماذا لم تتزوج امرأة من أبرشيتك بدلا من قطع كل هذه المسافة الى فريسكو لتلتقط منها فتاة مارقة ؟

تونى : ليس فى هذه الأبرشية نساء فاضلات .

الأب ماكى : وأى ضير فيهن ؟

تونى : ليس فيهن واحدة لم ينم معها چو .

الأب ماكى : ليس هذا هو السبب الحقيقى .

تونى : (مستخدما الحذاء فى توكيد ايماءاته) بل هو الحق أيها القس . لقد أخبرنى چو بكل شىء .. ولقد أخذت أرقب كل النساء فى هذه الأبرشية ، بل اننى بحثت فى كل مكان ، ولمسافة عشرين ميلا فلم أجد امرأة واحدة تصلح زوجة .. لقد حدثنى چو عن كل واحدة منهن . ثم ذهبت الى « ناپا » وبحثت فى كل مكان فوجدت أن الحال هناك ليست أفضل من هنا . انه نفس الوضع القائم هنا تماما . فشددت الرحال الى « فريسكو » بحثا عن زوجة حتى وجدت (آمى) .. انها مثل الوردة الذابلة ، ما عليك الا أن تمدها بالماء حتى تغدو ناضرة . سوف أتزوج آمى يا أبتاه .. لن أتزوج سواها . لقد أخبرتنى أنها ليست كاثوليكية .. وانى لأقول : وماذا يهم ؟ ربما بمرور الوقت — لو أوتينا الصبر — نذهب بها الى الكنيسة ، ونريها الشموع والسيدة العذراء يحيط بها الزهر ؛ وأيقونة القلب الكبير المصنوعة من الصفيح ؛ وكل شىء يشع بهجة وجمالا ؛ وأنت

تعظ بصوت جهورى ؛ والموسيقى .. ربما ..
بمرور الوقت (يلتفت مرة أخرى الى الحذاء)
ولكن هذا لا يهم الآن .. ماذا يهمنى ؟

الأب ماكى : ذلك لا يروق لى ..

تونى : حسنا .. اذا كنت لا تريد أن يتم زواجى وآمى على يد قس كاثوليكى طيب مثلك .. اذن .. بالله ..

الأب ماكى : لم أقل انى لن أزوجك ..

تونى : عظيم . !

الأب ماكى : انى فقط أحاول أن أقول لك ..

تونى : آه ! يا الهى ! (يلبس فردة الحذاء فتسبب له ألما بالغا) يبدو رائعا بقدر ما يسبب من آلام .

الأب ماكى : ليس من الخير أن يتزوج رجل عجوز من امرأة صغيرة .

تونى : وهل تظن أن ثمة من يود الزواج من عجوز ؟ هراء !

الأب ماكى : انى أعرف رجلا عجوزا تزوج من فتاة صغيرة فتركته وهربت مع سائق عربة .

تونى : يا الهى !

الأب ماكى : ولقد كان يعرفها منذ ولدت .. أما أنت فلم تعرف آمى الا لبضع دقائق .

تونى : هذا لا يهم .

الأب ماكى : وأعرف شخصا آخر تزوج باحدى فتيات الحضر مثل فتاتك آمى ؛ دون أن يكون قد تعرف بها معرفة وثيقة ، وسرعان ما اكتشف أنهـا من الساقطات .

تونى : ان آمى لا تفعل ذلك .

(يدخل آچى حاملا كأسين وزجـاجـة نبيذ)

الأب ماكى : ألم تقل لى منذ قليل أنك خائف من رؤيتهـا لچو ؟

تونى : بلى ؛ وحق الاله !

الأب ماكى : ولكن چـو ليس الشاب الوحيد فى هـذه الناحية .

تونى : الشبان ليسوا مشكلة .. المهم هو چو . ! وانى لست خائفا بالنسبة لچو الا لسبب خاص .. فلتخبر چـو يا أبى ؛ (يعود الى موضـوعه القديم ؛ ولكن النبيذ يصرف تفكيره عنه) آه !

الاب ماكى : لماذا لم تتزوج منذ أربعين عاما ؟

تونى : أظنك تعرف السبب جيدا .. السبب هو أنى لم أكن مجنونا .. حينما كنت شابا لم أكن أملك شيئا .. كنت مفلسا دائما .. أتذكر ؟ لم يكن لدىّ مالا أعول به زوجة . ولم أشأ أن آتى بزوجة لتعمل طوال الوقت .. لم يكن ذلك لائقا .. فالعمل كان سيعتصر شبابها وجمالها .. كانوا يقولون ان تونى مخبول لعدم زواجه .. وكنت أقول ان تونى ليس مجنونا .. ماذا حدث اذن منذ ذلك الحين ؟ صدر قانون حظر صنع الخمور .. فى صحتك ! (يفرغ فى جوفه كأسا من النبيذ . آچى يعود الى المطبخ) وماذا قلت حينئذ ؟ لقد قلت « انه قانون مجنون .. وانهم مجانين أولئك الذين أخافهم ذلك القانون فاقتلعوا أشجار الكروم ليزرعوا أشياء أخرى بدلا منها » . وماذا فعلت أنا ؟ أبقيت على أشجار الكروم .. وقلت حينئذ : انى جئت الى هذه البلاد لأزرع العنب .. لقد خلق الله هذه البلاد لزراعة العنب ! وليس من أجل قانون

الحظر خلق الله هذه البلاد .. لقد خلقها لزراعة الكروم . ! أليس ذلك صحيحا ؟ من المؤكد أن هذا صحيح ! (يشرب كأسا أخرى من النبيذ) وماذا حدث ؟ كنت أبيع الكروم قبل صـــدور القانون بسعر عشرة دولارات وربما اثنى عشر دولارا للطن .. وبعد القانون بعت الطن بمائة دولار فى بعض الأحيان .. لقد جعلنى قانون الحظر غنيا .. (كأسا ثالثة) صار لى هـــذا البيت الجميل .. واستخدمت چـــو رئيســـا للعمال .. وأتيت له باثنين يساعدانه . وأصبح لى طباخ صينى ، وعربة فورد .. لقد حصلت على كل ما تمنيته ، كل شىء ، ما عدا الزوجة . ولسوف تكون لى زوجة رائعة الجمال وصغيرة وسمينة .. انها ليست للعمل .. لا . ! بل لتجلس وتكتف يديها وتنجب الأطفال ؛ ثلاثة أطفـــال هكذا .. (يشير الى ارتفاع كل منهم) أنطونيو.. چيوسيبى .. أنّا .. مثلما تفعل الأشجار والأبقار وكل الناس الطيبين .. هذا خير" لله وللنـــاس أجمعين ! أؤكد لك يا أبت أن تونى يعـــرف ما يريده .

الأب ماكى : وماذا يحملك على الاعتقاد بأن رجلا فى مثـل سنك يمكن أن ينجب أطفالا ؟ (يصعق تونى لهذه العبارة) صدقنى يا تونى أن هذا ليس ممكنا .

تونى : هكذا ؟ تونى عجوز جدا بحيث لا يستطيع أن ينجب الأطفال ؟ فلتعلم أن تونى يستطيع أن يكون له عشرون طفلا اذا أراد ! ولتعلم أن تونى يستطيع انجاب الأطفال وهو فى سن المائة. يا الهى ! ان تونى من أخمص قدمه الى قمـة قبعته رجل فى غاية القوة والعنفوان ! أعتقـد أننى أفهمك جيدا أيها القس . ان تونى ليس عجـوزا جـدا لدرجة أنه لا يستطيع انجاب الأطفال. انه غنىجدا. هه؟ (هذه العبارة تصيب المحز) نعم ! تونى غنى ؛ واذا مات دون أطفال فان الكنيسة تستولى على كل أمواله ، كما يستحوذ القس على بيت تونى الجميل الذى تيسرت فيه كل سبل المعيشة ، هه ؟

الأب ماكى : (فى غضبة راعى الكنيسة) تونى !

تونى : (متمثلا بأصابعه قرنى الشيطان) حـذار من أن تسلط عين الشر على تونى وحبيبته آمى !

الأب ماكى : انك لتستسلم للخرافات الضالة مما ليس من شيم الكاثوليكى الحق .

تونى : (يهب واقفا فى فـزع) يا الهى ! ان حبيبتى آمى آتية فى هذا القطار وهأنت ذا جالس تعوقنى ولا تكف عن الحديث ..

الأب ماكى : أيهـا العجـوز الوضيع المخبول .. اذا كنت مصمما على الزواج فسوف أزوجك (چـو يظهر مرة ثانية بالباب) ولكني لا أريدك أن تعود الىّ فيما بعد مولولا .

تونى : تصور يا چو ! ان القس لا يريدنى أن أتزوج حبيبتى آمى اذ يخشى أن تحرم الكنيسة من أموالى !

چـو : بحق المسيح يا تونى ألم تسمع هذه الصفارة ؟

تونى : انى ذاهب ! انى ذاهب !

چـو : لقد وصل القطار فعلا .

تونى : آچى ، أيها الخنزير !

چـو : أحكم رباط عنقك .

تونى : سأفعل (يقبل آچى من المطبخ ملبيا نداء سيده) آتنى بزجاجة أخرى (يعود آچى للمطبخ) .

چـو : انك لن توفق ما دمت ثملا يا تونى .

تونى : لست ثملا ، انما خائف فقط ، خائف جدا .

چـو : هكذا العرسان دائما .

تونى : بحق المسيح ، ربما كنت مريضا !

چـو : كلا !

تونى : يا سيدتى العذراء . بل أنا مريض !

چـو : بم تشعر ؟

تونى : لست أدرى . انى مريض ! مريض ! مريض !

(يدخل آچى وقد ملأ زجاجة من جديد . تونى يتلقفها وينشد السلوى على وجه السرعة . يعود آچى الى المطبخ)

چـو : اذا تماديت فى ذلك فلسوف تزداد مرضا .

تونى : لست قادرا على الذهاب لاحضار آمى يا چو ، لا أستطيع أن أذهب ..

چـو : لا بأس .. سأذهب أنا .

تونى : أوه بالله لا ! لا !

چـــو : اذا هبطت التل « بالفورد » وأنت فى هـذه الحالة فسوف تدق عنقك .

تونى : (أكثر ارتياحا) أشعر بتحسن الآن ، وانى لأجيد القيادة . لست أريد أن يذهب أحـد سواى لملاقاة آمى .
(يضعف مرة أخرى) .. انى خائف ! خائف ! خائف !

چـــو : ماذا يخيفك يا تونى ؟

تونى : ربما تكون حبيبتى آمى ..

چـــو : هيا اخرج !

تونى : انى أشعر أنتى بخير الآن ، ولا أريد أن يذهب أى انسان سواى لملاقاة حبيبتى آمى . أؤكد لك !

(ينهض)

چـــو : مرحى !

تونى : (وقد انتابته نكسة جـديدة) أو لن يصيبك الجنون يا چو اذا سألتك شيئا .. ان لدىّ أسبابا وجيهة جدا يا چو .. چو .. متى ترحل من هنا ؟

چــو : انك لا تريد أن أرحل .. أليس كذلك ؟

تونى : أعتقد أن هذا أفضل بكثير .

چــو : وما الفكرة فى هذا يا تونى ؟

تونى : چو .. ثمة شىء ما سيحدث . هذا كل ما فى الأمر .. ارحل يا چو .. انى أحاول منذ ثلاثة أيام أن أطلب منك ذلك ، يا چو ، ولكنى كنت أخشى أن يصيبك الجنون .. انى مستعد لأن أدفع لك مكافأة مضاعفة اذا رحلت اليــوم ، اذا رحلت الآن ، ما رأيك يا چو ؟ حالا !

چــو : وأتخلف عن الحفل ؟ يا للجحيم !

تونى : انك لا تدرك يا چو ..

چــو : دعك من هذا الآن يا تونى .

تونى : چو ..

چــو : لو أنك تركتها تنتظر فسوف تعود أدراجها الى « فريسكو » .

تونى : يا الهى ! (يذهب الى الباب ولكنه يستدير مرة أخرى) چو .. ؟ (تقع عينه على عين الأب ماكى) ثمة أمر بالغ السوء سيحدث لتونى ..

نظفوا كل شيء جيدا قبل أن تأتى حبيبتى آمى .

(يذهب فعلا . چو يتبعه ويقف فى الدهليز ليرقبه . يسمع هدير سيارة ويتلاشى الهدير فى غمرة انطلاقها بسرعة فائقة)

الأب ماكى : (لدى النافذة) انظر اليه !

چـــو : بوسعه أن يقود « الفورد » ولو كان نائما .

الأب ماكى : أنا لا يعجبنى الرجل العجوز حين يتصابى .

چـــو : لا يضيقن صدرك به يا أبتاه .. ألم أقل لك لا داعى لاثارته ؟

(هذا القول يغضب القس الطيب فيتأهب للخروج فى أثر تونى . جو يعترض سبيله ويدفعه الى داخل الغرفة)

الأب ماكى : حسن ؟

چـــو : اجلس لحظة .. أراك قد أخبرت تونى بما لديك ، وانى لأريد أن أفضى اليك بشيء ما .

الأب ماكى : حقا ؟ انى لا أرى بأسا ..

چـــو : ربما لا أكون معك فى هـــذا الرأى . ولكن يا للجحيم !

الأب ماكى : أيها الشاب .. انه مذهب (ليسيه فير Laissez Faire) الوبيل ..

چـــو : وما ذاك ؟

الأب ماكى : تعبير فرنسى يعنى « فلأعش يومى فقط » .

چـــو : وأى شىء فى هذا ؟ اذا كان الناس عاكفين على ارتكاب الأخطاء ، وأنت عاجز عن اصـــلاحهم فلتدعهم وحال سبيلهم . هذا هو رأيى .. لست أريد أن أدفع الناس الى كراهيتى بابداء رأيى لهم فى صراحة عـــلى الدوام . ولأنى لست قسيسا فانى أهدف الى مسايرة الآخـــرين . وبهذه الطريقة يمكننى أن أكون ذا نفع لو أنهم حادوا عن جادة الصواب .

الأب ماكى : ان هذا لا يتفق وتعاليم المسيح .

چـــو : وما الذى تدريه أنت أو أنا عن تعاليم المسيح ؟

الأب ماكى : اذا لم تلتزم جانب الوقار ..

چـــو : ولكننى لم أنته من حديثى بعد ..

الأب ماكى : أوه ، حقا ؟

چـــو : انى لن أسمح بأن يلحق تونى أى أذى مهما كان الثمن .. أفاهم ؟ ولقد ثرت ضد هذا الزواج

أكثر مما فعلت أنت . وانى لأعلم كل شيء عنه . أفاهم ؟ لقد مضى علىّ هنا خمسة شهور الآن وانها لأطول مدة بقيتها فى مكان واحد .

الأب ماكى : حقا ؟

چــو : ما عــدا فترة قضيتها فى السجن . ولقد كنت أقوم برعاية تونى منذ أن جئت الى هنا . كنت مزمعا أن أبقى ساعات وهأنذا لم أبرح خمسة شهور كاملة .. خمسة شهور كنت أعمل فيها من أجـــل تونى وأرعاه .. والحقيقــة التى لا أجحدها أنه عاملنى معاملة طيبة للغاية . وانى ما كنت لأعمل معه طوال هذه المدة لو لم تكن معاملته بهذه الصورة .. وأنت تعلم أنى لست من النوع الذى يقوى على الاستقرار . انى أنزع الى التنقل ، فأنا ممن ينطبق عليهم قول الصحف « مهاجر غير حاذق » ولقد تعين علىّ أن أرحل ، أفاهم ؟ ان تونى يريدنى أن أرحل وانى لأبغى ذلك . على أن الأمر الذى يعنينى معرفته هو : من ذا الذى سيقوم برعاية تونى بعد رحيلى ؟

الأب ماكي : أليس هذا هو مكان زوجته ؟

چــو : انه لكذلك بالتأكيد . ولكن لنفترض أن ذلك الزواج لم يصبه التوفيق ، هــل ستعنى به أنت ؟

الأب ماكي : ألست الأب الروحى لتونى والمسئول عنه ؟

چــو : عظيم ! وانى لست على يقين أنك ســتواجه متاعب تذكر فى هذا السبيل . ان آمى تبدو فى ناظرى فتاة أقل من المتوسط ، وانها لتعلم أيضا ما هى مقبلة عليه .

الأب ماكي : انك لتبدو عليما ببواطن الأمــور . هل سبق أن تعرفت بالفتاة ؟

چــو : لم يقع عليها بصرى قط (ثم يفطن الى هــذا التلميح) أوه .. قد أكون طاردت كثيرا من النساء ، ولكن هذا لم يحدث مع زوجة تونى ، أفاهم ؟ وليس فى نيتى أن أفعل ذلك .. فلتعى ذلك جيدا .

الأب ماكي : يسعدنى أن أسمع ذلك يا چو .

چــو : ولكن اتفق لى أن أعرف شيئا عنها . ألم أكن أنا الذى أكتب كل خطــابات تونى اليها ؟

لا أخالك تظن أن تونى ، وهو بهذا القدر من التعليم ، يستطيع كتابة خطاب الى سيدة ، أتظن ذلك ؟

الأب ماكى : كلا ، لا يمكن أن أتصور ذلك .

چــــو : بل اننى كنت أقرأ له الخطابات التى ترد منها . ومن هذا السبيل حصلت على معلوماتى . وانى لأقول انها قد أوتيت مدارك واسعة . لا تخدع نفسك فتظن أنها ليست كذلك . سأثبت لك (يذهب الى الصوان ويستخرج مجموعة من الخطابات والصور ويعود بها الى القس) . تستطيع أن ترى بنفسك (يسلم المستند الأول — خطاب) تونى يذهب الى فريسكو بحثا عن زوجة ، أترى ؟ هذا الأحمق ! وانه ليعثر على آمى جالســة الى منضدة فى أحــــد مطاعم « الاسباجيتى » يدعى « تروڤاتورى » ، هل تتصور ؟ انه حتى لم يجرؤ على التحدث اليها ! بل لم يعد ليراها مرة أخرى . انه فقط افتتن بها وعرف اسمها من مدير المطعم ثم عاد وطلب منى أن أكتب اليها طالبا يدها . وذاك هو ردها .

الأب ماكى : انه لخط جميل واضح .. خطاب بديع يوحى بأنها تتمتع بسجايا أكبر مما كنت أظنها عليه . ومع ذلك فليس من اللائق مطارحة الغرام بهذه الصورة .

چـو : ثمة من يفعل ألعن من ذلك .

الأب ماكى : انها تقول انها معجبة بخطابك .

چـو : وفى الخطاب الثانى ذكرت لها كل شىء عن المزرعة وعن الحياة التى تنتظرها . أوه ، لقد كنت حريصا على ألا أذكر لها شيئا عن أموال تونى ، واكتفيت بذكر « الفورد » فقد اعتقدت أنه ينبغى لها أن تدرى بها (يناوله الخطاب الثانى) ثم جاء هذا الرد منها .

الأب ماكى : انها تحب الريف .. أليس كذلك ؟ وتريد صورة تونى ..

چـو : كان يجدر بك أن ترى تونى أمام آلة التصوير ! بحق الله ! لقد ظللت أسبوعا كاملا أقنعه بالأمر . وما كدت أصل به الى هناك — أنت تعرف ذلك المحل المقابل للمحطة — حتى أخذ الذعر بتلابيبه ..

الأب ماكى : مم ؟

چـــو : من الكاميرا .. هل تصدق ؟ لقد اضطررت أنا والمصور الى شده الى الكرسى . فاتك المنظر الفريد لذلك الايطالى وهو غارق فى عرقه . وحينما أردنا أن نصوب الكاميرا نحوه صرخ صرخة كنت تسمعها من المنزل المجاور ثم انطلق يعدو الى الشارع !

الأب ماكى : لا !

چـــو : ولم أستطع اعادته الا بعد أن وعدته بأن تؤخذ لى صورة أمامه . وقد كان ! (يخرج عينة من الصور للقس) ها هى صـــورة ، انها تشبهه بالتأكيد ، ولكن لابد أن ثمة شيئا راق لها فى الصورة لأنها بعثت له على الفور بصورة لها .

(يمعن النظر فى صورة آمى لحظة اقبل ان يناولها له)

ها هى لا بأس بها ؛ هه ؟

الأب ماكى : (نظرة متأملة طويلة تنم عن رضى) ليس هناك من يقدر على فهمهن ! (يعيد اليه الصورة) هل تظن أنها مستقيمة يا چو ؟

چـــو : يا للجحيم ! اذا لم تكن ، فلعلها تريد .. وهذا هو المهم .

الآب ماكى : ورغم ذلك فلعلها لا تكشف عن عنصر سيء .. هكذا الحياة دائما .. ان الانسان لا يحقق فيها كل ما يسعى اليه ، ولكنه نادرا ما يعرف أنه لم يحققه .

چــو : أوه ، هأنت تعرج الى ذلك الطريق !

الآب ماكى : انه طريق الحياة السوية بعون الله القدير .

چــو : يا للجحيم ! ان الحياة ليست بهذا السوء .

الآب ماكى : يسعدنى أن أسمع هذا منك .

چــو : (وهو يعيد المستندات الى الدرج) انى لم أستمتع بأى شيء قدر ما استمتعت بهـــذا الموضوع !

الآب ماكى : وهل تظن أن تونى سيسعد به أيضا ؟

چــو : انتظر لترى .

الآب ماكى : حسنا ، لست أدرى كيف يمكننى الموافقة على هذا الزواج ، ولكنى على استعداد لئلا أحرمه من موافقتى وبذل كل ما فى وسعى لانجاحه ، ورعاية تونى . هل يرضيك ذلك ؟ .. وعلى كل لست أعتقد فى الاحتمالات الغير ضرورية ،

يا چو . فلتحزم أمرك اذن وترحل من هنا كما طلب منك تونى .

جـــو : ان حديثك ليملؤنى بالمرارة .. ولا غرو اذا ظن من يسمعك أننى متلهف على .. (موزع البريد يظهر فى الدهليز حاملا معطفا مترباً على ذراعه ، ويمسح العرق من فوق حاجبيه بمنديله الأزرق . انه يرتدى قميصا من الفانلا رمادى اللون ، وسروالا قديما معلقا فى حمالات رثة . الشارة التى يحملها هى كل ما يدل على عمله . انه عجوز ريفى يمضغ الدخان فى نهم) .

موزع البريد: ايه ، تونى ، تونى ، (وقد وصل الى الباب) أين تونى ؟ طبت صباحا يا أبت .

چـــو : توجه تونى الى المدينة ، لقد بكرت اليوم .

موزع البريد: ليس من عادة تونى أن يخرج مبكرا هكذا . كنت أريد توقيعه على رســـالة من البريد المسجل .

چـــو : وما هى ؟

موزع البريد: انها زوجته . (چو والقس يقفان فى دهشة) بالتأكيد ! وهى بالعربة فى الخارج تسب وتلعن

لأن تونى لم يذهب لملاقاتها . انها لفتاة صغيرة الى حد ما .. لم أسمع عن مثل هذا قط .. يحوز فتاة مثلها دون أن يجشم نفسه عناء .. (چو والقس يهرعان الى النوافذ) .

چـــو : وأين وجدتها ؟

موزع البريد: لقد وجدتها تذرع الرصيف جيئة وذهابا فجئت بها الى هنا . الحق أننى أكره أن أرى فتـــاة مليحة تبكى ، ولقد كانت تبكى بالتأكيد .. حسبت أن تونى لم تسعفه سيارته « الفورد » فـ ...

الأب ماكى : لقد خرج من هنا فعلا .. يا ترى ماذا جرى له ؟

چـــو : لابد أنه اتخذ الطريق الأقرب .

الأب ماكى : ألم تصادفه ؟

چـــو : كان ينبغى أن أذهب بدلا منه .

الأب ماكى : لقد كان فى حالة سيئة .

موزع البريد: سوف أبحث عنه فى طريق عودتى .

چـــو : وماذا سنفعل معها ؟

موزع البريد: اطلب منها أن تأتى الى هنا .

چـــو : آچى ! (يخرج منادِيا) چورچيو ! انچلو !

(موزع البريد يتبعه . آچى يخـرج من
مطبخه ، وقـد بدا عليه بعض الارتباك ،
ولكنه يحجم عن تلبية النداء .
الاب ماكى يصلح من شأن نفسه ويخرج
فى اثرهما ، ويظل المسرح خاليا لحظـة .
تسمع اصوات مختلفة ، بعضها يتحدث
بالانجليزية والبعض الآخر بالايطاليـة .
يسمع چو وهو يصيح :)

ساعدنى على حمل هذه الحقيبة !

صوت آمى : أهلا وسهلا ، انى لسعيدة بلقياك . لقد تأخرت بعض الوقت فى الحضور الى هنا بالتأكيد . اننى كنت أتوقع أن أجد أحدا فى انتظارى على المحطة .

الاب ماكى : لقد خرج الرجل العجوز وهو فى غير حال .

صوت چو : لقد تحرك من هنا متأخرا بعض الوقت .

موزع البريد: سوف أبحث عنه .

(يضيع باقى الحديث وسط اصـوات
تتحدث بالايطالية بينما تبدو آمى صاعدة
الى الدهليز ، والآخرون خلفهما فيما عدا
الخادمين الايطاليين چـورچيو وانچلوا
اللذين لاتخفت ثرثرتهما الا عند دخـول
آمى الى الحجرة .

أما عن آمى فهمى مثلما وصفها تونى واكثر بكثير . ترتدى ثوبا انيقا جديدا ، جاهزا ، وان كان يبـدو رخيصـا . وقبعة جميلة ورخيصة ايضا . حذاؤها لامع متناسق مع حقيبة يدها . على أن حلاوتها لا يصدقها العقل . صغيرة وسمينة ومفعمة بالحيوية. شـعرها الذهبى يتألق حول وجهها مثل ضوء الصباح .. بل ان كيانها كله يومض من قوة ذاتية كامنة فيها .

نظرتهـا تنم عن بعض الاعيـاء .. لا يزيد عمرها ، فيما يبدو ، عن اثنين ، أو ثلاثة وعشرين عاما وان كانت تبـدو أكبر من ذلك ..

ميزتها الكبرى الصراحة والوضوح ، مما يضفى عطفا وحنانا على شخصيتها كلها.. كبرياؤها مجروح فى الوقت الحـالى لما لقيته من اهمال تونى لها ..وانها لتتصرف فى شىء من التعاظم بحيث لا تبدو تصرفاتها مقنعة تماما . وهى مرتبكة بطبيعة الحال، ولكنها لا تود أن تعترف بذلك) .

آمى : (تدلف من الباب) لابد لى أن أقـول اننى لم أتصور لقاء بهذه الصورة من رجل مهذب لعروسه الناضرة . أنا لا أفهم ذلك . لا أفهمه مطلقا .. ماذا حدث ؟

چـو : آه .. لا شيء ..

الأب ماكى : لقد كان خائفا .

آمى : خائفا منى ؟ لماذا لم تأت بنفسك ؟

چـو : لقد كنت أريد ذلك ؛ ولكن ..

آمى : (وقد لفتت الزينات نظرها) ياه .. هل تقيمون هنا كل هذا فى حفلات الزفاف ؟

چـو : نعم بالتأكيد .

آمى : حسن ، ان ذلك غاية الهمة والنشاط ! هـذا عرس فعلى من أعراس المهاجرين .. معذرة .. أقصد عرسا ايطاليا .

چـو : لا بأس .

آمى : وها هو القس حاضر أيضا .. كل شيء معـد وجاهز .. عظيم ! أستطيع أن أدرك على الفور أننى سأعشق الحياة هنا .

چـو : لا أتصور أحدا يخالفك فى ذلك .

آمى : حسن .. اذن فسوف أسامحك . أنا هكذا دائما .. أعفو وأنسى .. انى أؤمن دائما بأن ما فات مات . لقد استغرقنى التفكير وأنا فى المحطة ؛ كنت أقول لنفسى : .. اذا كانوا قد

تجردوا من الذوق لدرجـــة أنهم لم يحضروا لملاقاة العروس فانى سآخذ أول قطار عائد الى « فريسكو » . وكان من الممكن أن أفعل ذلك حقيقة لولا — هل تصـــدق ؟ — لولا أننى لم أكن أملك ثمن التذكرة ! لقد أنفقت كل ما معى الى آخر سنتيم على هذه القبعة . وحينما تذكرت ذلك بكيت .. هذا ما كنت أبكى من أجله حينما قدمت نحوى .

(هذه الجملة موجهة الى موزع البريد .. أما فيما عدا ذلك فعيناها لا تفارقان وجه چـــو) .

موزع البريد: يسعدنى أننى استطعت خدمتك يا سيدتى .

آمى : لقد ساعدتنى بالتأكيد . ولكنى هأنذا حيـــة أرزق كما يقولون ، ومن ثم فلا حاجة الى أن نشغل أنفسنا بمثل هذه الأمور أكثر من ذلك .. أظنه يتعين على الجلوس .

(تجلس) .

چـــو : ها هو الطباخ والمساعدان يقدمون لك فروض الاحترام .

انچــلو : (فى احترام كبير لآمى) سيدتنا ! شكرا كثيرا يا سيدتنا العزيزة ، وحفلا سعيدا ، كيف حالك ؟ هل قمت برحلة جميلة ؟

انچـلو : نحن سعداء بك جدا ، وتتعشم أن نراك فى سعادة دائمة فى ضيافة سيدنا الكريم .

چورچيو : (معا) لقد شرفتنا يا سيدتى المحترمة ، وانا لنتمنى لك حظا سعيدا ، والتوفيق لزواجكما المرتقب . ولتبارك السيدة العذراء هذا الزواج ؛ وكذا جميع القديسين .

چـو : هاى .. هذا يكفى !

آمى : انه لشعور طيب منهما .. لقد أعجبتنى كل كلمة قالاها .. أعتقد أنه يجدر بى أن أتلقى دروسا فى الايطالية ، فانى لا أكاد أعرف الا كلمات مثل « اسباجيتى » ، و « راڤيولى » .

چورچيو : (فى صوت خفيض) آه .. ان السيدة تتحدث الايطالية !

آمى : أظن أن لديكم الكثير من المكرونة هنـا ؛ مما يؤكد أننى لن أضيق بهـذا المكان ، فأنا

أحبها كثيرا (تلحظ أمارات الخضوع التى يبديها آچى) أهلا .. هل أنت الطباخ ؟

آچى : نعم يا سيدتى .. طباخ عظيم جدا !

آمى : هكذا ؟ لم أكن أدرى أنه سيكون عندى طباخ عظيم . انك لم تخبرنى (آچى ينسحب) . ان أمتعتى بالخارج .

چــو : فلتحضرا الأمتعـــة أيها الغلامان . (أنچلو وچورچيو يهبطان الدرج) .

آمى : سأراقبهما اذا لم يكن لديك مانع . ان ثوب الزفاف فى تلك الحقيبة .. أراهن أنك لم تتوقع أن أحضر ثوب زفاف . حسنا ؛ اننى لم أتصور هذا أيضا . ولست أدرى لم فعلت ذلك . ولكن هذا هو ما حدث . ولقد ترددت بادىء الأمر ثم انتهيت بأن قلت لنفسى : « انك لن تتزوجى سوى مرة واحدة » ؛ بل وأحضرت « الطرحة » أيضا .. لقد جئت بالمستلزمات كلها . (تسمع جلبة نقل حقيبتها) على مهلكم ! (تخرج الى الدهليز) .

موزع البريد: حسن ، تلك هى العروس .

چـــو : (وهو خارج لمعاونتها) لا بأس بها .

الآب ماكى : كلا ، انها بين بين .

آمى : (صائحة فى العمال من مكانها فى الدهليز) لا تقلبها هكذا .. انتبه !

موزع البريد: انى لا أثق كثيرا فى فتيات المدينة ، ولكن .

چـــو : (صائحا) تمهلا أيها الغلامان .. احذرا هـذه الكرمة .. ناولانى الحقيبة .

الآب ماكى : أوه ، انها فوق المتوسط .

موزع البريد: (وهو يلكزه بكوعه) هل تعتقد أنها ..

الآب ماكى : لا أود أن أتسرع فى الحكم ، ولكن ..

موزع البريد: انى لا أظن ذلك .

الآب ماكى : چو .. هل تظن أنها .. ؟

چـــو : كلا ، ليست هى بالتأكيد (يضع الحقيبة خلف باب غرفة النوم . وفى نفس الوقت يدخـل انچلو وچورچيو حاملين أمتعة آمى الخفيفة ويدخلان بها غرفة النوم) .

موزع البريد: حسن ، لقد سلمت رسالتى .

الآب ماكى : سوف آتى معك . ولتبق هنا يا چو حتى تجد الفتاة من تستطيع التحدث معه .

چـــو : كلا ، سوف آتي أنا أيضا .

موزع البريد: ابق هنا يا چو الى أن يعود العريس .. أتريد أن يتعكر صفوها مرة أخرى ؟

الأب ماكى : (بينما آمى تتقدم على طول الدهليز متجهة الى الباب) ش ش ش ! لا تتسبب فى تكديرها .

آمى : (وهى واقفة فى المدخل تضع لمسات أخيرة من المسحوق على أنفها) أظن أن قليلا من هـذا لن يجعل التطلع الىّ أمرا صعبا .

موزع البريد: اننا مضطران الى الانصراف يا سيدتى .

الأب ماكى : نعم .

آمى : (تصافحه) لقد سرنى أنى تعرفت بك .

موزع البريد: أرجو أن أحظى برؤيتك مرة أخرى .

آمى : ألن تأتى لحضور حفل العرس ؟

موزع البريد: سأحضر بالتأكيد اذا دعيت .

آمى : لن أغفر لك اذا لم تحضر .. وانى لأريد أن أشكرك على توصيلى الى هنا (تصافحه) شكرا لك .. والى اللقاء .. الى اللقاء .

موزع البريد: الى اللقاء يا سيدتى . (يدلف خارجا . چو يتأهب للخروج وراءه) .

آمي : أأنت خارج أيضا ؟

چــو : حسن ، انتى ..

موزع البريد: (من خلال النافذة) أنا والقس فقط .

الأب ماكى : (مخاطبا چو وهو خارج) سنبعث به عـلى الفور .

موزع البريد: (وهما يختفيان) الى اللقاء يا سيدتى .

آمي : الى اللقاء . سأراكما فيما بعد . (صمت ثقيل) . انى لست آسفة على ذهابهما . أعتقد أنه كان يجدر بهما أن يرحلا بأسرع من ذلك ويدعانا نتعرف الى بعضنا . لقد أربكانى بطول حملقتهما الىّ حتى اننى لم أكن أدرى ماذا أقول . وحق لفتاة أن تضطرب اذ تجد نفسها آتيـة هكذا لتتزوج رجلا لم تره قط من قبل . لقـد كنت سعيدة جدا ، ويخيل لى أننى بدوت لكم عصبية المزاج بعض الشيء . انى لا أريد أن تعتقد أنى كذلك .

چــو : لم يدر هذا بخلدى .

آمي : يسعدنى ذلك . أنت تعلم أن هذا المكان قد راق لى . انك قد أعددته اعدادا طيبا وجميـلا

(تلحظ الكعكة) وهذه .. انه لبديع منك جدا أن تفكر فى ذلك .. وناهيك بالمنظر ! هل هذه كروم كلها ؟

چـو : نعم (صمت ثقيل) .

آمى : انه لمنظر رائع بالتأكيد . ان المرء وهو قادم الى هذا المكان ليتنسم رائحته بكل خلايا جسمه . لقد عاد الى ذاكرتى مرتع صباى .

چـو : وأين كان ذلك ؟

آمى : فى « سانتا كلارا » ، لقد قلت لك ذلك فى خطابى .

چـو : أوه ، .. نعم فى سانتا كلارا حقا .. لقد نسيت .

آمى : كانت لنا دار كبيرة فى سانتا كلارا . وحدائق حافلة بالبرقوق والمشمش .. تسعون فدانا من البرقوق وخمسون من المشمش (صمت ثقيل مرة أخرى) أظن أنه يجدر بى أن أجلس . (تجلس) كان ينبغى أن يدر البرقوق والمشمش أموالا كثيرة . ولكن البرقوق لم يفلح كما أن المشمش أصيبت أوراقه بتفلفل .

چـو : أنت فلاحة أصيلة .

آمى : كان أبى كذلك ، ولكنه عكف على الشراب .

چـــو : هذا أمر سيىء .

آمى : وهكذا فقدنا كل شىء بعد وفاة أمى . ولكنى لم أكف عن حب ذلك المكان . ففى الربيع حين كانت تتفتح البراعم كنت أتسلق الطاحونة فى الليل حينما يكون القمر بازغا .. ليس هنـاك أروع من منظر البراعم فى ضوء القمر . انك لتستطيع أن ترى الى مدى أميال وأميـال حولك — أميال وأميال ..

چـــو : لا ريب أنه كان منظرا جميلا (صمت ثقيل) .

آمى : هل ذهبت الى ساتتا كلارا ؟

چـــو : بالتأكيد ، لقد عملت هناك قبل أن آتى الى هنا .

آمى : أين كنت تعمل ؟

چـــو : بالقرب من «موتتين ڤيو » .. نسيت اسـم الرجل .

آمى : لقد كنت أذهب الى مدرسة « موتتين ڤيو » . كانت دارنا قريبـة منهـا . أسمعت عن الأب أودونيل ؟

چـــو : كلا .

آمي : اعتقدت أنك ستبتعد عنه ، اذ أنه كاثوليكى .

چـو : كنت أعمل هناك منظما لعمال التراحيل .

آمي : حقا ! هل كنت واحدا منهم ؟

چـو : كنت كذلك .

آمي : انى لجد سعيدة أنك تركت ذلك العمل .. ان لهجة حديثك لا تشبه لهجة الايطاليين فى أى شىء الآن .

چـو : أنا لست ايطاليا الا من ناحية الأصل ، لقد ولدت فى فريسكو .

آمي : أوه ! فى فريسكو ! فهمت .. أما أنا فسويسرية الأصل . ولد أبى فى سويسرا وكذلك جدى لأمى . ولست أدرى ماذا يجعل منى هـذا الأصل .. قطعة جبن سويسرية فيما أعتقد .. (تضحك . چو لا يضحك ، يصدمها موقفه ؛ ثم تسود فترة صمت طويلة أخرى) . كانت دارنا فى « سانتاكلارا » أكبر من هذه الدار ، ولكنها لم تكن بهذا الجمال . يجب أن أعترف بأن هذا البيت باق على ما هو عليه من الأناقة والنظافة لأنه خال من المرأة .. لقد انقلب بيتنا

فى نهاية الأمر الى حالة من القذارة لا تطاق .. فقــد انكفأت أمى على الشراب أيضا .. انها الخمر كما تعلم .. أنا لا أرى بأسا من تعاطى البيرة أو النبيذ الايطالى ، أما الويسكى فلا فائدة منه لأحد .. ولعــل هذا ما دفعكم الى منعه .

چــو : أظن كذلك .

آمى : يسعدنى أن أسمع ذلك . انى لسعيدة جدا . فأنا لا أريد أن أمــــرّ بتجارب أخـرى مع الويسكى .. هذا منظر بديع بالتأكيد . انك لا ترى فى مسانتا كلارا شيئا على بعد ميل . سانتا كلارا منبسطة حتى انك لا تحظى بأى منظر الا اذا تسلقت تلك الطاحونة التى حدثتــك عنها .. لقد كان ببيتنا القديم قبو للمؤنة . فهل لهذا البيت قبو ؟

چــو : نعم بالتأكيد .. انه يقع أســـفل البيت كله (تذهب الى باب القبو وتلقى نظرة) .

آمى : كنت أختبىء فى قبونا حين تتفاقم الأمــور فى الدور العلوى . كان فى مقدور المرء أن يسمع الأقدام تجرى فوق رأسه ؛ ولكن لم يحــدث

أن لحق بى أحد الى هناك ، لأنه لم يكن يسهل عليهم متابعتى فى نزول ذلك السلم الصغير .. لقد كنت هدفا للومهم دائما .

چــو : حقــا ؟

آمى : نعم ، ولهذا كنت ألجأ الى القبو دائما ، وخاصة فى الأيام الحارة .. لقد كان جوّه عبقا برائحة المشمش .

چــو : أما قبونا فله رائحة الجحيم .. انه ملىء بالنبيذ الايطالى .

آمى : انها لرائحة لطيفــة ، قد تكون لاذعة ولكنها منعشة .

چــو : لقد غدوت ايطالية حقا .. أليس كذلك ؟

آمى : هكذا ، ولما ينقضى على سوى عامين فى مطعم الاسباجيتى ؟ اننى أحب الايطاليين . لقــد كانوا يدعوننى وشــأنى دائما ، اذ لم يجدوا فائدة من مغازلتهم لى .. أوه ، لقــد بدأت أكشف لك عن ذات نفسى .

چــو : استمرى ..

آمى : حسنا .. ليس خليقا بى أن أخجل منك الآن . لم أكن أتصور قط أنى سأتزوج ايطاليا .. ولكنى رحبت بالفرصة على الفور حيث أنى كنت قد ضقت ذرعا بكل شىء .. نعم كل شىء.. لقد وصلت الى درجة لم أظن معها أنه فى مقدورى الاستمرار أكثر من ذلك .

چــو : مسكينة !

آمى : أوه ، انى أدرك دائما من أين تؤكل الكتف .. لقد قلت لنفسى : « انه يبدو على ما يرام .. وانى لأهوى الريف ، ولن يكون أسوأ من هنا على أى حال » وقلت أيضا : « لماذا لا أجرب ؟ انه مثلى تماما يجرب حظه معى كما أفعل معه » .

چــو : هذا بديع للغاية !

آمى : بالتأكيد ، ثم ــ وما كان يجدر بى أن أذكر ذلك ــ حينما حضرت الى هنا ورأيت كل ما فعلته ، من اعداد للعرس ، وحينما أطللت من النافذة وتنسمت هذا الهواء ، قلت لنفسى :

« يا آمى ، أيتها الطفلة العجوز ، انك فى سعة من العيش » . والآن ما رأيك فى هذا الاعتراف ؟

چــو : أنت فى غاية الصواب . هذا هو نفس ما قلتــه حين حضرت الى هنا . والفرق هو أننى كنت أنوى البقاء بضع أيام . وها أنت ترييننى لاصق هنا منذ خمسة شهور .

آمى : فقط ؟

چــو : هذه هى أطول فترة بقيتها فى مكان واحد منذ أن وعيت كيف أرتدى ملابسى .

آمى : لقد كنت كثير الترحال .

چــو : نعم ، كنت منخرطا فى سلك عمال التراحيل قبل ان آتى الى هنا ، وهذا هو السبب .

آمى : وفيم كنتم تعلمون ؟

چــو : فى الكريز وحشيشة الدينـــار والبطيخ فى « الامبريال » ، البرتقال فى الجنوب ، وكذلك فى السكك الحديدية وحقول البترول .. كان ذلك قبل أن آتى الى هنا . فلما وصلت الى هنا

بقيت . ربما كنت قد ضقت ذرعا من كثرة التنقل ، الا أننى ضقت بوضعى الحالى أيضا . ولكن لا يهم .

آمى : أوه ، لا تكن قلقا الى هذا الحد .. فأنا لست أقوى منك ازاء اغراء التنقل ، ولقد نلت منه ما يكفينى فى حياتى .

چــو : هذا يبدو واضحا .

آمى : انى لأتساءل عما تظنه بى اذ آتى الى هنا هكذا بمفردى لأتزوج انسانا لم أره قط فى حياتى اللهم من صورته .

چــو : لم يكن فى مقدورك أن تعثرى على خير منه .

آمى : هكذا ! لا يملأن رأسك الغرور ..

چــو : من ؟ أنا ؟

آمى : أوه ، كلا ، لا أحد . (آچى يمر عبر الدهليز) آمل أن تكون على حق ، هذا هو كل ما هنالك . وانى لأظنك كذلك .. وصدقنى أنه لو لم يدر بخلدى أن هذا زواج جاد ما جئت هنا . فأنا جادة ، وأمل أن تكون كذلك .

چـــو : أنا ؟

آمى : لست أعنى الطباخ بالتأكيد !

چـــو : بالله ، من تظنين ؟ ..

آمى : (تلمس كمّه فى خفـــر رقيق كمحاولة أولى للتقرب) لا تغضب . منذ الدقيقة الأولى التى وضعت فيها قدمى هنا شعرت أننى أصبت ، وانى لكذلك . انى لأشعر بارتياح معـــك كما لو كنا صديقين قديمين . ليس ثمـــة غرابة فى وجودى هنا بهذه الصورة . ليس الآن على أى حال . وهذا يبين أنه لا يمكن التنبؤ بما تجىء به الأيام . فلو جاءتنى أية عرّافة وأخبرتنى أننى سآتى هنا بالصورة التى جئت بها ، أتدرى ماذا كنت أقول لهـــا ؟ كنت أقـــول : « أنت لست بمنجمة » . ان الحياة لمضحكة على أى حال . ومن حسن حظى أننى أستطيع أن أقول ذلك الآن ، وأضحك حينما أقوله . اننى لم أكن دائماً ممن يضحكون بسهولة . وأعتقد أننـــا سيألف بعضنا البعض بمضى الوقت . ألا تعتقد أننا سنفعل ذلك يا تونى ؟

جـــو : تونى ؟ ! اننى لست .. ! أوه يا الهى !

(كلماته تضيع وسط هدير عربة فورد مقبلة ، صوت المحرك يغرق بدوره وسط صرخات فزع صادرة من چورچيو وانچلو . التوتر القائم بين الاثنين فى الغرفة يذوب بدخول آجى وهو فى حالة مضطربة ، مما يدل على انه رأى من نافذة المطبخ اسباب الهياج) .

الأب ماكى : (مناديا من خارج المسرح) چو ! چو ! ..

جـــو : (يتبع آچى نحو الباب) ماذا هنـــاك ؟ (من الدهليز يعرف ماذا جرى) ماذا !! .. هــل مات ؟ .. خذ هذه الدكة .. (يختفى فى اتجاه الصخب الذى ما زال يتردد باللغتين الانجليزية والايطالية) .

آمى : ماذا جرى ؟ هل أصيب أحد بأذى ؟

(يظهر الطبيب مرتديا قبعته ذات الحافة المثناة وممســـكا بحقيبته الســـوداء ، متخذا سمة العلماء) .

الطبيب : سأحضر النقالة .

جـــو : (يتبعه داخلا) هل حالته سيئة أيها الطبيب ؟

الطبيب : (وهو يدخـل غـرفة النوم) كلتا ساقيه الى ما فوق الركبة — كسور مضاعفة .

چـو : لماذا لم تنقله الى المستشفى ؟

موزع البريد: (داخلا) لقد انحرفت العربة من فوق الجسر .

الأب ماكى : (يدخل) على بعد لا يتجاوز مائتى ياردة من هنا يا چو .

موزع البريد: لابد أنه سقط من ارتفاع عشرين قدما عـلى الأقل !

الأب ماكى : لم أر فى حيـاتى مثل هذا الحادث ! (مخاطبا آمى) وجدناه ملقى فى ماء عمقه قـدمان ، والعربة مقلوبة رأسا على عقب .

آمى : ولكن من هو ؟ انى لا أفهم شيئا . اننى لا أدرى ماذا حدث .

الأب ماكى : ساقان مكسوران ، هذا هو ما حدث .

الطبيب : (يظهـر ثانية وقد خلع چاكتته) يحسن أن تساعدنى يا چو ..

(يختفى مرة اخرى ، يظهر چورچيو وانجلو حاملين الدكة وهماينادجيان الاله بالايطالية . تونى مستلق فاقد الوعى فوق النقالة

المؤقتة . چو يردد : « مهلا » .. مستخدم البريد يحاول تخفيف الأمر على تونى . تونى لا يكف عن التوجع والانين)

چـــو : (بعد أن وضعت الدكة) لا بأس يا تونى .

تونى : (يستعيد رشده) آه ! أهذا أنت يا چو ؟

چـــو : نعم ، انه أنا .. آمى هنا .

تونى : آمى ؟ .. هل هى على ما يرام يا چو ؟ هـــل قمت بكل شىء كما يجب ؟

چـــو : بالتأكيد ، كل شىء على ما يرام .

تونى : وأين حبيبتى آمى ؟ (يراها وهى واقفة الى جوار الحائط وقد استولى عليها ذهول وصمت مطبق) آههه ! .. آمى ! آمى ! لا تظلى واقفة بعيدا هكذا .. تعالى هنا كى أصافحك (آمى تهز رأسها) هل أنت غاضبة منى يا آمى ؟ (آمى تهز رأســها مرة أخرى) آمى ليست غاضبة منى ، يا چو ؟

چـــو : لا أحد غاضب .. هدىء من روعك .

تونى : اذن فسيتم العرس كما كان مقدرا له ؟ سيتم العرس كما كان مقررا ؟

(يظهر الطبيب فى مدخل غرفة النوم ممسكا حقنة)

چـــو : بالتأكيد ، سنفعل .

الطبيب : حسنا يا ولداى ، أدخلاه .. أريد أن أعطيه حقنة أخرى ، وأنظف جراحه .

چـــو : هيا يا أولاد .. هيا .. على مهلكم .

تونى : آمى ! .. آمى ! .. (يحس بالألم من جـراء الحركة . ينهار وسط آهاته ، ويحمل الى غرفة النوم ؛ الباقون يدخلون معه ما عـدا چـو وآمى) .

چـــو : (وهو يزمع الخروج يستوقفه صوت مختنق يصـــدر من آمى . يلتفت ويواجه نظراتها الفاحصة . يغلق الباب) .
منظر عنيف بالنسبة لك .

آمى : (تكاد لا تقوى على النطق من فرط هواجسها المفزعة) . من .. من ذلك العجوز ؟ ..

چـــو : انه .. انه تونى ..

آمى : تونى ؟ !

چـــو : انه لأمر مؤسف حقا أن لم يقدر له أن يلقاك .. ومن المؤسف كذلك أنه لم يكن هنا حين جئت (آمى تترنح فى يأس لحظة ؛ ثم تنطلق نحـو

غرفة النوم وقد ندت عنها صرخة مكتومة)
لا يمكنك أن تدخلى هناك .

آمى : أريد حقيبتى .

چـــو : اســـمعى .. ليست غلطـــة تونى انه أصيب فى حادث ..

آمى : يا لها من خدعة رخيصة قذرة يمكن أن تخدع بها فتاة !

چـــو : وليست غلطته أنك وقعت فى خطأ صغير ..

آمى : ماذا تظن فى نفسك ؟ ملك الجاذبية والسحر ؟ (تفتح فى عنف حقيبة يدها التى وضعتها على المائدة عند دخولها ، وتخرج منها صـــــورة فوتوغرافية) أليست هذه صورتك ؟

چـــو : (فى دهشة) من أين حصلت عليها ؟

آمى : من أين تظننى حصلت عليها ؟

چـــو : يا الهى العظيم ! هل أرسلها لك تونى ؟ أرجوك أن تخبرينى ! هل أرسلها لك تونى ؟

آمى : ألم أقل لك ذلك فى التو ؟

چـــو : يا لله ، لا ريب أنه كان مخبولا .. يالله ، لقــد كان متعلقا بك لدرجة أنه خشى ألا تعـــيرى

عجـــوزا مثــله أى اهتمام .. لم تكن لديه الشجاعة .. فقام بارسال صورتى اليك بدلا من صورته . هذا هو شأن تونى يا آمى .. انه ليس الا غلاما .. انه مثل الجرو .. صدقينى يا آمى انه الحق ما أقوله لك . أما أنا فلا شأن لى بهذه الأمور . صدقينى .. لقد كتبت له الخطابات ، ولكن ذلك لأنه لا يجيد الكتابة بالانجليزية كما أفعل أنا .

آمى : ليس هذا عذرا .

چــو : ولكن تلك الخطابات لم يرد بها كلمة واحــدة تخالف الحقيقة . انى لم أعـلم شــيئا بشأن الصــورة . صدقينى ، مطلقا . كما أن تونى لم يكن ينوى أى أذى يا آمى .. صدقينى ، مطلقا . ولقد ظل يلح علىّ كى أرحل .. نعم .. كان يلح على كل يوم .. انها لعبة قذرة بالتأكيد ، ولقد كان مخبولا أن يتصور أنه سوف يفلح فيها . انى لا أنكر انها أقذر لعبة سمعت عنها . ولكن ثقى أنه لم يكن يقصد سوءا .

آمى : أوه ، حقـــا ؟ وماذا عن احساساتى ؟ مـــاذا فيما يتعلق بى ؟

چـــو : سوف أفعل كل ما فى وسعى . لكى أسوى هذا الأمر . سوف أوصلك الى المحطة على الفور ، ويمكنك أن تلحقى أول قطار عائد .

آمى : أوه ، هل أستطيع حقا ؟ وماذا تتوقع منى أن أفعل حينما أصل الى هناك ؟ ألم أترك وظيفتى ؟ هل تظن أنه من السهل على الفتاة أن تحصل على وظيفة ؟ أو لست قد أنفقت كل سنتيم أملكه على جهازى ؟

چـــو : سأجعل تونى يعوضك عن كل شىء .

آمى : أوه ، يا الهى .. أوه ، يا الهى ! علىّ أن أعود وأنتظر على المائدة . وماذا ستقول تلك الفتيات حينما يريننى ؟ حتى ثمن التذكرة ليس معى .

چـــو : نستطيع أن نسوى ذلك .

آمى : ســوف أستعين بمحام بالتأكيــد . لكم أود لو أننى لم أسمع قط عن الايطاليين ..

چـــو : لا تأخذى فى العويل (يحاول أن يخفف عنها) .

آمى : أبعد يدك عنى وأحضر لى حاجياتى .

چـــو : حسنا ..

(ينظر اليها لحظة وقد بدا عليه غم شديد ، ثم يستسلم ويدخل غرفة النـوم . يمكن سماع صوت الطبيب وتونى عنـــد فتح الباب . يغلق چو الباب خلفه . آمى تلتقط أشياءها القليلة الموجودة بالغرفة . تقف لحظة وهى ممسكة بها تتطلع فيما حولها ، وعلى الحوائط الاربع ، ونحو الحقـــول بالخارج ، ثم يقع نظرها على صورة چـو التى مازالت موضوعة ووجهها الى أعلى . تلتقطها وتنظر اليها ، وبحركة آلية تتأهب لوضعها فى صدر ثوبها ، ولكنها تغير رأيها وتضعها على المائدة ، ثم تتطلع حولها مرة أخرى . يبدو من ملامحها أنها قد توصلت الى قرار ما . يبدو الحزم على وجهها فتبعد عنها الصورة بعنف . يعود چـــو حاملا حقيبتها) .

چـــو : لقد أعطاه الطبيب منوما وسوف يستدعى له عربة اسعاف تنقله الى المستشفى . يمكننا أن نستقل عربة الطبيب و .. انه أمـــر مخجل ، ولكن ..

آمى : لست راحلة ..

چـــو : ماذا ؟

آمى : كلا ، لست راحلة . ولماذا ينبغى أن أرحل ؟ انى أعشق الريف ، وهذا المكان يلائمنى تماما . انه مطابق لما كنت أحلم به . لقد جئت ؛ ومن الممكن أن أظل هنا . كما أننى أعتقد أنه ليس فى حالة خطيرة . وربما كان رحيلى سببا فى سوء حالته .. اذا كان يريد أن يتزوجنى فهأنذا . انى مستعدة لاتمام كل شىء .. كل شىء يروق لى هنا ..

(تنزع قبعتها وتجلس منهكة . چـــو يحملق فيها فى اعجاب صامت بينما يسدل الســـتار) .

الفصل الثاني

المنظر يظل كما هو . الوقت : نفس اليوم ، وقد أوغل المساء . المصابيح بالخارج مشتعلة منذ وقت طويل حتى ان بعضها قد خبت جذوته . الغرفة يضيئها مصباحان زيتيان .

تونى مضطجع على سرير صغير يئن فى ضعف ، وساقاه مغلفتان بجبيرتين من الجبس والى جانبه زجاجة نبيذه التى لا تفارقه . الطبيب جالس على مقربة منه .

الاحتفال بالخارج قائم على قدم وساق . أثناء رفع الستار يسمع صوت ايطالى حزين يردد مقطوعة « المرأة طبيعتها التغير » ، من أوبرا «ريجولتو» ، فى نبرات تنم عن يأس وحيرة . فترة صمت قصيرة تسود المسرح عقب انتهاء الأغنية، يسمع صوت سهم نارى . يتألق الضوء المنبعث من السهم النارى من خلال النوافذ ، ثم تصدر آهة طويلة من الجمع المحتشد بالخارج .

تونى : صواريخ !

الطبيب : لا تتحرك ..

تونى : ان الانسان ليضنيه طول الرقاد . مسكين تونى ؛ لقد فاته أن يشهد الاحتفال .

(أصوات مرحة بالخارج تنادى أطفالا ،

والأطفال تجيب . الطبيب ينهض فى قلق ويتجه نحو الباب . تونى يتابع الطبيب ببصره) اه ، أيها الطبيب الى أين أنت ذاهب ؟

الطبيب : لقد تأخر الوقت وآن لهؤلاء الذئاب أن يتوجهوا الى بيوتهم .

(تصدر من الجماهير صيحات عالية . المغنى يردد مرة اخرى وفى عنف المقطوعة الاخيرة من « المراة طبيعتها التغير ») .

تونى : هذا الشخص ليس من ذئاب البرارى ، بل هو فنان موسيقى .

الطبيب : انى لأعجب كيف لم تنفجر رئتاه بعد ، وهــو يصرخ هكذا منذ خمس ساعات .

تونى : أنت لا تفهم مثــل هــذه الموسيقى . كم هى رائعة ! انها أوبرا « ريجوليتو » !

الطبيب : اسمع يا تونى . سوف أدعك تخـــــرج من المستشفى لتتزوج .

تونى : بالطبع ! وهل تظن أن هنــاك طبيبا مهما كان شأنه يستطيع أن يمنعنى من الزواج ؟

الطبيب : انى أتحدث بلغة الطب ، ليس بلغة الحب .

تونى : أراك تتحدث كثيرا ، وهذا يفسد كل شيء .

الطبيب : كن عاقلا يا تونى . لقد أذنت باحضارك الى هنا حيث تستطيع أن ترى أصدقاءك .

تونى : ثم أمرت جميع أصدقائى أن يخرجوا .

الطبيب : أنت رجل مريض .

تونى : آهى ! تونى مريض جدا .. مريض جدا !

الطبيب : كفى ؛ كفى . ان نصف ما مر بك اليوم كان كفيلا بأن يقتل رجلا أبيضا . انكم أيها الايطاليون مخبولون .

تونى : انى لن أسمح لأحد بأن يمنع المرح والبهجة من بيتى . اخرج واقض وقتا سعيدا .

الطبيب : انى لا أغنى ولا أرقص ولا أتحدث الايطالية ولا أشرب .

تونى : يدهشنى أن لديك الكثير لا تعرفه أيها الطبيب. (يضحك ، الحركة تؤلمه . يئن ، فيقترب الطبيب من فراشه) أين حبيبتى آمى ؟

الطبيب : انها على ما يرام . لا تتحرك .

تونى : هلا ذهبت لتلقى نظرة على حبيبتى آمى أيها

الطبيب ، وترى ما اذا كانت تقضى وقتا سعيدا ؟

(آلات الماندولين والجيتار والأكورديون تعزف رقصة فالس عاطفية فى الخارج).

الطبيب : فلتبق ساكنا (يذعن لرغبته ويتجه نحو الباب) أستطيع أن أراها من هنا ، وانها لتقضى وقتا ممتعا .. هل هذا يرضيك .

تونى : الجميع يشرعون فى الرقص الآن !

(فترة صمت وجيزة تملؤها موسيقى راقصة يصاحبها تونى — الذى لا يمتثل لأوامر الطبيب — بدقات منغمة . يظهر چو وآجى عبر الدهليز وهما يدفعان عربة يد بعجلة واحدة . لحظة اضطراب بين الحاضرين بالخارج أثناء عبور العربة بينهم . الطبيب يصيح فى الحاضرين ليفسحوا . چو وآجى يدخلان) .

چو : كيف حالك الآن يا تونى ؟

تونى : متعب جدا يا چو . هل يسير الحفل على ما يرام ؟

چو : كل شىء فى أحسن حال يا تونى . اننا عائدان من أجل مزيد من النبيذ.

تونى : هذا حسن .. هذا حسن .

چــو : انه حسن بالتأكيد . ولكن من العجيب أنهم لم يموتوا من كثرة الشراب .

تونى : الايطاليون لا يموتون من النبيذ . هل حبيبتى آمى سعيدة ، يا چو ؟

چــو : لا ريب فى ذلك . انها تلعب مع الغلمان .

تونى : آه ! اذهب الى مخزن المؤونة مع آچى يا چو واحضرا كثيرا من النبيذ ، ثم عد الى هنا ، فثمة حديث قصير بينك وبين تونى .

چــو : حسن . (يهبط الى مخزن المؤونة يتبعه آچى) .

الطبيب : (عند الباب يصوب نظرات غاضبة الى المحتفلين) ما أجدر أن يبلغ عن هؤلاء الأمهات اللائى يتركن أولادهن الصغار يسهرون الى هذه الساعة من الليل .

(فترة صمت تملؤها صيحات وضحكات) .

تونى : (فى صوت يرتفع تدريجيا) أيها الطبيب ! أيها الطبيب ! أيها الطبيب ! (يلتفت الطبيب) هل تظن أننى سأكون أحسن حالا فى الأسبوع المقبل ؟

الطبيب : انى آمل مخلصا يا تونى أن تتحسن حالتك بعد ستة شهور .

تونى : ستة شهور ؟

الطبيب : يبدو أنك لا تدرى أى كسر خطير حدث لك (يجلس متخذا سمة مهنته) ان العظم الأنسىّ وعظم الشظية بساقك اليمنى قد كسرا . كما أن الفخذ الأيسر حدثت به رضوض كثيرة ؛ وعظم الورك أصيب بضرر بالغ أيضا . والآن اذا لم تحدث مضاعفات ..

تونى : يا الهى !

الطبيب : .. ستة شهور ..

تونى : (فى صوت يرتفع تدريجيا مرة أخرى) ستة شهور ! ستة شهور !

الطبيب : ان هذا الاضطراب لن ينقص المدة .

تونى : تمام أيها الطبيب . هذا الاضطراب لا يجدى ؛ انى أفهم . ولكن ستة شهور .. (فترة صمت) أيها الطبيب ؛ أريد أن أسألك شيئا ، ولسوف تجيبنى بصراحة .. اه ؟

الطبيب : انى أعرف ما يدور بخلدك يا تونى . اذا بقيت

ساكنا وحرصت على صحتك سوف يكون لك كل ما تريد من الأولاد .

تونى : كم ؟

الطبيب : عشرة .. اذا شئت !

تونى : بل ثلاثة تكفى .

(الموسيقى تعلو مرة اخرى ، بينما يعود چو وآچى من القبو ومعهما البرميل الجديد من النبيذ . يضعان البرميل على العربة ويجرها آچى الى الجماهير الظامئة . چو يتخلف) .

الطبيب : فى أثناء ذلك سوف تسهر آمى على رعايتك .

تونى : (بحدة) اننى لم أتزوج لكى أجعل امرأتى تعمل . أنا لا أريد لآمى أن تفعل شيئا سوى أن تكون سعيدة وتسمن .

چـــو : فيم يطمع تونى أكثر من ذلك ؟ لقد تزوج امرأة جميلة لتعزف له على البيان ، وسوف يستخدم ممرضة مدربة كى ترعاه .

(صيحات الرجال مرحبة بآچى « النبيذ ! النبيـــذ ! » ومن الفتيـــات : « عاش انطونيو ! ») .

تونى : بالتأكيد !

الطبيب : إن استخدام الممرضات المدربات باهظ التكاليف، يا تونى .

تونى : لقد أوتيت مالا كثيرا .

(آلتا الكونسرتينا والماندولين تبـدآن فى عزف « فونيكولى ، فونيكولا » . الموسيقى تستمر خلال المشهد التالى) .

چـــو : (يخرج علبة سجائره) هـل معك ثقـاب يا طبيب ؟

الطبيب : ليس هنا ، يا چو !

(چو يخرج بسيجارته . يجلس ملوحـا للحشد الذى يحييه صائحا «چو! چو!») .

تونى : هل حبيبتى آمى تستمتع بوقت طيب يا چو ؟

چـــو : بالتأكيد . انها ترقص مع موزع البريد .

تونى : هذا حسن . انه زفاف مضحك للغاية بالنسبة لى يا چو ، ولكن حبيبتى آمى يجب أن تمضى وقتا سعيدا .

الطبيب : ان تونى متيّم بها .

چـــو : لا تلمه ، فهى فتاة مليحة .

تونى : ان لدىّ حديثا سريا للغاية أريد أن أفضى به الى چو ، أيها الطبيب ، فلتذهب وتتحدث مع

حبيبتى آمى . يحسن بك أن تتعرف على حبيبتى آمى جيدا أيها الطبيب .

(تصفيق فى الخارج اعجابا بالراقصين) .

چـو : كان من الممكن أن يحدث لك ما هو أسوأ من ذلك . صدقنى يا تونى .

الطبيب : لقد آن لتونى أن ينام .

(الجمهور بالخارج يتصايح فى ضجيج وصخب) .

چـو : انى لن أطيل عليه .

تونى : مدة قصيرة أيها الطبيب ؟ خمس عشرة دقيقة ؟

الطبيب : حسن . لا تزد عن ذلك فأنا أريد أن أنام قليلا أيضا . ان الناس ليظنون أنه ليس ورائى غير العناية بتونى .

چـو : اننا نعلم انك جد مشغول أيها الطبيب .

الطبيب : وأى انشغال ! (بعظمة) . ان لدىّ مريضين ، وحالة زائدة دودية فى طريق « سانت هيلينا » . وعندى كذلك على الجانب الآخر من المدينة ، أجمل ورم تتمنى أن تراه ! وزوجة العمدة ! لقد أجريت لها جراحة بالأمس . حصاة فى المرارة ..

لم أر فى حياتى حالة مثلها .. وأخيرا عنـدى تجاربى المنتظمة وأبحاثى العلمية التى تجعلنى متتبعا لآخر التطورات .

تونى : يا للعنة ، أيها الطبيب ! كفى حديثا عن المرض والمرضى فيكفينى ما بى وما منيت به من متاعب هنا . اخرج الآن ودعنى لأتحدث قليلا مـع چو .

الطبيب : حسن . ولعلى لا أجد سخافات أخرى تنتظرنى حينما أعود . (يخرج ثم يخاطب چو القابع عند الدهليز) لا يمكننى أن أتحمل المسئولية اذا لم يحظ المريض بالهدوء التام فى أعقـاب صدمة كهذه لجهازه العصبى .

چـو : هل لتونى جهاز عصبى ؟

الطبيب : بالطبع ! (يختفى ، صيحات ترحب به) .

تونى : ما هو الجهاز العصبى يا چو ؟

چـو : انه الشىء الذى يجعلك تحس بالألم .

تونى : لدىّ منه الكثير .

(يدلف چو ، ثم يقف لحظة على مقربة من تونى ، تشع فى وجهه ابتسـامة سـاخرة

يشوبها بعض الرقة . تونى يدندن وهو مشتت الذهن ضاربا باحدى يديه على نغمات « فونيكولى ، فونيكولا » ؛ وعند انتهاء الموسيقى تسقط يده وقد ندت عنه آهة) .

چـو : ماذا يدور فى ذهنك يا تونى ؟

تونى : أوه . چو ! چو !! چو !!!

چـو : ماذا جرى يا تونى ؟ ألا تشعر أنك على ما يرام ؟

تونى : انها آمى ..

(چو يجلس فى مقعد الطبيب ويسحبه مقتربا من الفراش) .

چـو : ماذا تريد منها بعد ذلك ؟ لقد تزوجتك .. ألا يكفيك هذا ؟

تونى : انى خائف يا چو ، بل مذعور جدا . انى أحب آمى ولكنها لا تحبنى .

چـو : اترك لها فرصة .. ألا تستطيع ؟ انها ما كانت لتتزوجك لو لم تكن ترحب بحبك .

تونى : أتظن ذلك ؟

چـو : يا للجحيم .. انى أعرف ذلك .

تونى : ماذا قالت آمى حينما رأتنى هذا الصباح ؟

چـو : آوه ، انس ذلك يا تونى .. أرجوك .

تونى : لابد لى أن أعرف يا چو . لابد أن تخبرنى . لقد غضبت جدا ، اه ؟

چـو : حسن .. اذا كانت قد غضبت ، فقد ذهب غضبها الآن .

تونى : ماذا أفعل ليسير كل شىء على ما يرام يا چو ؟ هذا ما أريد أن أعرفه .

چـو : أؤكد لك أن كل شىء على ما يرام الآن . أوه ، لست أعنى أنك لم تعد مكلفا بمهمة التودد اليها ، ولكن هذا ليس صعبا . ما عليك الا أن تكون لطيفا معها وتعنى بها . هذا ما تحتاج اليه آمى . انها طفلة مسكينة متعبة !

تونى : انى على أتم الاستعداد للعناية بها .

چـو : مما قالته آمى لى هذا الصباح عرفت أنها كانت تحيا حياة شاقة بالنسبة لفتاة فى سنها . واذا كانت قد استطاعت أن تجتاز تلك الصعوبات فان الفضل فى ذلك لا يرجع الا اليها فى الواقع .

تونى : انك لرجل فطن يا چو .

چـو : لست أدرى الى أى مدى تبلغ فطنتى يا تونى ،

ولكنك لا تستطيع أن تعلمنى الكثير عن النساء؛
ليس فى مقدورك ذلك . صـــدقنى أننا نظلم
الفتيات دائما .. (يفكر قليلا قبل أن يوضح
حديثه) .. اليك مثلا رجـلا شابا مثلى .. من
المفيد له أن يضرب فى الأرض وأن يخـوض
غمار المتاعب .. (هزة رأس وقورة) ولكن هذه
الحال لا يمكن أن تلائم الفتاة ، فهى لا تقوى
عليها ، لأنه ليس من طبيعتها أن تفعل ما يفعله
الفتى .. (تونى يبـدو عليه التأثر والاقتناع
ويعلن عن تأييده باصدار صوت يشبه صوت
الخنزير) اذا أراد الرجـــل طعاما فقد يسرقه
أو يخطفه .. انه يحتال على ذلك بكل السبل .
أما الفتاة فلا تستطيع أن تجاريه فى هذا ؛ اذ أن
ذلك يضايقها كثيرا ؛ وتظن أنها اقترفت أمرا
ادًّا (هذا القول يدهش تونى ؛ ولكنه مستعد
لتصديق كل كلمة قالها چو) . يا للهول ؛ ان
الواحد لا يتصور أن يصبح امرأة !

تونى : (يومىء موافقا) لا أحد يريد أن يصبح امرأة

يا چو .. ولكن هناك الكثير منهن طيبات مثل حبيبتى آمى !

چـــو : هناك بالتأكيد الطيبات منهن وغير الطيبات . ولكن ليس هذا ما أعنيه بالضبط يا تونى . ان ما أعنيه هو أنه ليس هناك فرق كبير فى رأيى بين الصالحة منهن والطالحة ، وبين الشـــابة والعجوز .

تونى : انى أفضل السمينة !

چـــو : كلهن يواجهن نفس المشكلة ، وهـــذا أمـــر مخجل ، اذ آن النساء لسن فى غاية السوء .. ربما لا ترجى منهن فائدة كبيرة ، الا أنهن لسن سيئات الى هذا الحد .

تونى : سوف تنال حبيبتى آمى كل ما تبغيه .

چـــو : هل سمعت شيئا عما يطلق عليه اسم حقـــوق المرأة ؟ أنت تعرفها .. المساواة بين الجنسين .. المرأة تقوم بكل أعمال الرجل وما شابه ذلك .

تونى : انها لفكرة سخيفة !

چـــو : الفكرة ليست سيئة للغاية .

تونى : بل هى فكرة مجنونة ! اليك أنا مثلا . هل تعتقد

أن ثمة امرأة تستطيع القيام بعملى ؟ كلا والله ! صدقنى يا چو ، خير للمرأة أن تقبع فى البيت وتحب زوجها .

چــو : ان مشكلة النساء هى أن ثمة أعدادا غفــيرة منهن . لقد قرأت فى الصحيفة منذ أيام ان فى انجلترا ثلاث نساء ونصف لكل رجل .

تونى : ماذا تعنى — نصف امرأة ؟ !

چــو : انى أذكر لك فقط ما قالته الصحيفة .

تونى : يا لها من فكرة مجنونة ! نصف امرأة ! صدقنى يا چو ..

چــو : لقد خبرت النســــاء من « سان دييجو » الى « سيتل » فوجدت معظمهن يبحثن عن البيت . البيت الآمن المستقر ، سواء حصلن على حقوقهن أم لا . اسمع نصيحتى واجعل كل شىء جميلا ومريحا فى عينى آمى ولن تواجهك أية متاعب . ان آمى راضية هنا . ولا يخامرنك شك أنهـا ليست كذلك .

(ينطلق صوت الجماهير فى الخارج مـرة اخرى ، ويقودهم المغنيون الى مقطـوعة « ماريا مارى ») .

تونى : أنت غلام طيب يا چو ، وانك لاريب فطن .

چـــو : انى أقول لك الحقيقة فقط . أنت سعيد الحظ جدا اذ عثرت على فتاة مثل آمى .

تونى : (لحظة ارتياح ، ثم يعاوده اليأس مرة أخرى) لا فائدة يا چو .. لا فائدة .

چـــو : أوه ، بحق الاله يا تونى !

تونى : صدقنى يا چو ألا فائدة . اننى أتعس مخلوق فى هذا العالم ، لماذا ؟ لأننى كنت آثما لعينا ولسوف ينتقم الله منى بكل تأكيد ! لقد حطّم ساقىّ ، والبقية تأتى ! الله ليس غافلا يا چو .. انه ينظر الى تونى الآن . أو تعلم ما يقول ؟ انه يقول : « تونى ، أنت ملعون لارتكابك هذه الخـدعة فى حق آمى ! » هـذا ما يقوله الله يا چو . انى لأعلم جيدا ما سيفعله الله بعـد ذلك . ان تونى ، وقد ارتكب هذه الخـــدعة الدنيئة فى حق آمى ، لن يرزق بأطفال مطلقا ! ما الذى دفعنى الى أن أرتكب مثل هذا ؟

چـــو : أوه ، يا للجحيم ، لقد كنتَ مجنونا دائما .

تونى : لم يكن جديرا بشخص سيىء مثلى أن يتزوج ، لسوف ينتقم منى الله بما فيه الكفاية .

چـــو : ان الله ليغفر لمن هم أسوأ منك .

تونى : هل تظن ذلك ؟

چـــو : اذا أردت أن تجعل الأمور على ما يرام فاجعل آمى تسعد بما فعلت .

تونى : أتظن ذلك ؟ .. نعم (صمت) انظر يا چو ..

(يخرج صندوقا من القطيفة من أسفل البطانية) .

هذه هدية لآمى .. افتحه ..

چـــو : (مذعنا) ها ! يا له من قرط رائع !

تونى : بالتأكيد ! لقد كلفنى أربعمائة دولار !

چـــو : هل هو من الماس الحقيقى ؟

تونى : (يهز رأسه) أعتقد أن آمى ستعجب به كثيرا ، اه ؟

چـــو : بل ستخبل به .. حقا انك لايطالى عجوز وحصيف يا تونى ، (يعيد الصندوق الى تونى الذى يضحك فى بهجة . چو ينظر اليه لحظة ثم يتوجه الى الباب وينادى) آمى !

تونى : اه ؛ چو ، چو !

چـــو : سوف تقدم لها الهدية فورا . ان هذا سيخفف من حدة قلقك .. آمى .. تعالى هنا ! تونى يريد أن يراك .

تونى : هل تظن أنه وقت مناسب الآن ؟

چـــو : انى أعرف .. آمى !

(آمى تظهر فى المدخـــل مرتدية فستان الزفاف و « الطرحة » . الفستان بالغ الروعة ، ولكن ثمـــة خطـــأ فى موضع أو موضعين . الطـرحة مـائلة قليـــلا . الصورة فى جملتها ، لأول وهلة ، ساحرة ومثيرة) .

آمى : ماذا جرى ؟ (صوتها متعب قليلا . لا تنظر الى چو) .

چـــو : تونى يريدك .

آمى : (تخطو الى الداخل فى بلادة وتتجه نحو أبعد كرسى من سرير تونى ، ثم تجلس عليـــه فى فتور) .
حسنا ، هأنذا .

تونى : (فى رقة متناهية) حبيبتى آمى متعبة ؟ !

آمى : أظنك لا تلومنى اذا كنت كذلك . لقد كان يومى حافلا .. يا الهى ! ان أولئك الصبية فى الخارج لم يكفوا عن القفز حولى .

تونى : عظيم !

آمى : أوه ، أنا لا أضيق بالأطفال اذا أووا الى فراشهم حينما ينبغى لهم ذلك ، واذا أحسنوا السلوك . صدقنى لو أننى رزقت بأطفال فسأعلمهم كيف يحسنون السلوك .

تونى : هل تسمع يا چو ؟

آمى : لقد قلت .. « لو » (صمت) ليس لدىّ أى اعتراض .

تونى : (فى وله) آمى .. اقتربى هنا .

آمى : (تنهض بسرعة) أظننى لست متعبة الى هذا الحد . يجدر بى أن أعود اليهم حتى لا يتساءلوا عما حدث للعروس الناضرة . ألست ناضرة حقا ؟

(السهام النارية تصفر وتومض مرة أخرى ، فتقفز آمى الى الدهليز كطفلة صغيرة تهرع للتمتع بمنظرها . حماس الحاضرين يكاد يجعل

النوافذ تجلجل) حق لهم أن يصرخوا هناك !
اذا اجتمع عدد من الايطاليين حول هذا القدر
من النبيذ الايطالى فلا عجب أن تسمع هـذا
الزعيق . أعتقد أنه يجدر بى نزع « الطرحة »
(تنزعها) . أف ! ان هذا الشيء لا وزن له على
الاطلاق ، ولكنى أشعر وكأنه طن من الطوب .

تونى : اقتربى من هنا يا آمى .

آمى : اننى مستريحة هنا .

تونى : آمى !

آمى : مـاذا ؟

تونى : هل تحبين الأقراط ؟

آمى : الأقراط ؟ أنا بشر ، ألست كذلك ؟

چـو : تماما .

آمى : (فى غضب حقيقى) أنا لم أتحدث اليك . كنت أخاطب تونى .

تونى : آه . انك تنادينى « تونى » للمرة الأولى !

آمى : وهل كنت تنتظر أن أخاطب زوجى بقـولى «السيد» ؟ ان هذا ليبدو سخيفا ، أليس كذلك ؟

تونى ، اختصار أنطونيو .. أنطونيو وكليوباترا ،
هه ؟ أتفهم ذلك ؟ عليك أن تدعونى كليو .

تونى : انى أفضل آمى .

آمى : ليس هناك اختصار لآمى . انه اسم فرنسى معناه المحبوبة . المحبوبة ! أتفهم هذا ؟ هكذا قال لى مـدير مطعم « الاسباجيتى » فى تلك الليلة التى حاول فيها أن يهدينى قلادة من اللؤلؤ تساوى اثنى عشر دولارا . اثنى عشر دولارا ! لقد كان رجـلا متحررا ؛ وحينما رأى أنى لا أقبلها بهذه الطريقة أعطاها لبلانش ، وهى الفتاة الأخرى التى كانت تعمل هناك . لقـد كان متزوجا وله ثلاثة أطفال . (تونى يومىء مرة أخرى ؛ ولكن آمى تتلهى بالحديث) انى أحب اسم بلانش هـذا . كم تمنيت لو كان اسمى بلانش بدلا من آمى . مسكينة بلانش .. ما أكثر ما لاقته من متاعب .. لقـد شـعرت بالأسف من أجل تلك الفتاة !

تونى : تعالى هنا يا آمى (يخرج الصندوق) .

آمى : ما هذا ؟

تونی : انها هديتى لحبيبتى آمى .

آمى : وماذا بداخله ؟

تونی : شيء لك .

آمى : شيء لى ؟ (تقترب من الفراش فى لمح البصر وتلتقط الصندوق) .
حقا ؟ ان هذا لجميل منك يا تونى .. (تفتحه) أوه !! أوه !! أوه !!

تونی : لكى تسعد آمى .

چـــو : انها حقيقية ! جواهر حقيقية !

تونی : بالتأكيد ! أربعمائة دولار ..

آمى : أنا .. أنا .. (الدموع تترقرق فى عينيها) ماس حقيقى ..

(تجلس على كرسى الطبيب ثم تنخرط فى البكاء) .

تونی : لا تبكى يا آمى ! لا تبكى ! هـــذه الأقراط ليست للبكاء ! انها للبهجة والمرح ! انها هدية تونى فى يوم زواجه .

آمى : لست أدرى ماذا يمكن أن أقول ! أو أفعل !

چـــو : البسيها (يحضر المرآة الى حيث تجلس آمى ويمسكها لها بينما هى تشرع فى لبس الأقراط . نحيبها يكف تدريجيا) .

آمى : لقد كان عندى زوج من الأقراط يومــا ما ، ولهذا فأذناى مثقــوبتان . لقد ثقبتهما أمى بنفسها بابرة وخيط . ان هذا النوع فقط هو الذى يثبت بمسمار لولبى . ما رأيك .. أليس جميلا ؟ ! كان قرطى الآخر من الفيروز والذهب . فيروز حقيقى وذهب حقيقى .. ولكن هذا ثمنه أربعمائة دولار .. أوه .. لم أكن أحلم قط بشىء عظيم مثل هذا .

(تأخذ المرآة من چو) .

تونى : آمى .. آمى ..

آمى : هل أستطيع ارتداءه حينما أشاء ؟

تونى : تستطيعين لبسه فى الفراش اذا شئت !

آمى : أوه .. شكرا لك يا تونى ! (تكاد تقبله) .

چـــو : لقد غدا كل شىء رائعا الآن !

آمى : (فى حدة وغضب) ما حكايتك ! أى شأن لك بهذا ؟ انك تدس أنفك دائما .. انك .. (تتذكر

فجأة الصورة الفوتوغرافية الخطيرة التي ما تزال قابعة فوق المنضدة) انتظر لحظة .. (تلتقطها وتناولها لجو فى عنف) هاك صورتك .

تونى : (يرقب الموقف فى ذعر) يا سيدتى العذراء !

آمى : هاكها ! يجدر أن تأخذها . قلت لك خذها ! انى لا أريدها (جو ينظر الى الصورة ثم الى السيدة) .

چـــو : أنت مخطئة الى حد بعيد يا آمى . أرجـو ألا تكونى غاضبة .

آمى : وماذا يدعونى الى أن أغضب ؟

تونى : رائع !

چـــو : حسن . فقط لا أريدك أن تعتقدى ..

(فترة صمت طويلة) .

آمى : (فى ثبات) أرجو ألا تكون مغرورا يا مستر چو ..

(چو تربد سحنته ، تونى يقضى على هذا التوتر بحركة من يده) .

تونى : مزقها يا چو ! مزقها !

(چو يذعن) .

آمى : والآن فلننس ذلك ولا نفكر فيه مرة أخرى .

تونى : يا سيدتى العذراء .. ان هذا لرائع ..

آمى : هذا هو السبيل الوحيد .. لا فائدة من الاحتفاظ بأشياء تذكرك بما تريد أن تنساه .. فلنبدأ من جديد .. هذا هو مذهبى .. احــــرق كل ما تريد أن تلقى به وراء ظهــرك . لا ذكرى ولا تذكارات .. اننى أفعل ذلك بانتظام حوالى مرة كل شهر منذ أن كنت صبية . لا ذكريات لى ولا انفعالات . انها لحياة عظيمة اذا لم تتخاذل . وربما لو قدر لى أن أصـــــمد طويلا لبلغت شيئا ما يوما من الأيام . (تستدير وتقبل تونى على جبينه) .

جــو : (مخاطبا تونى) أظن هذا يكفيك .. لا حاجة بك فيما أعتقد الى أن تقلق بعد ذلك ان هذا ليضع حدا لمتاعبك الى الأبد . وأظنه قد آن لك أن تعترف بأنى كنت مصيبا فيما ذكرته لك .

تونى : أعرفت الآن يا جو لماذا كنت أطلب منك الرحيل ؟ انها تلك الصورة اللعينة ! ولكن ها قد انتهى

كل شيء الآن .. كل شيء على ما يرام ولا حاجة بك الى الرحيل الآن يا چو .

چـــو : انك لست فى حاجة الىّ الآن . أعتقـد أنه فى مقدورى أن أرحل بعد أن جاءتك آمى كى ترعى شئونك .

تونى : لا ! لا ! اننى محتاج اليك هنا لترعى شئون الكرمة . لن أدعك ترحل بأى حال . وآمى لن تدعك ترحل أيضا .

آمى : أيفكر فى الرحيل يا تونى ؟

تونى : انه لن يرحل الآن ، يا الهى ! لا يمكن أن يرحل چو تاركا تونى مريضا فى الفراش ولا أحـد هناك يقوم بشئون الكرمة .

چـــو : ستجد أى أحد .

آمى : متى يرحل ؟

تونى : انه يقول غدا . لا تدعيه يرحل يا آمى .

آمى : ليس من شأنى أن أتحدث فى هذا .

تونى : أسمعت يا چو . ان آمى تطلب منك البقاء .

آمى : (فى احتقار) نعم ، انى أطلب ذلك .

چـــو : لابد من رحيلى يا تونى .. يتحتم علىّ أن أرحل .

آمى : ما دام لن يبقى من أجلك يا تونى فانه لن يبقى من آجلى . ولا يليق بسيدة أن تستحلفه على أى حال . (تصوب الى چو نظرات ملؤها الحنق) وما هى وجهتك ؟

چـــو : الى المكان التالى .

آمى : ماذا تعنى ؟

چـــو : سوف أستمر فى طريقى ؛ هذا كل ما هنالك .

تونى : انهم عمال التراحيل الملاعين يا آمى .. اطلبى منه أن يبقى طالما أن تونى مريض فى فراشـــه بهذه الصورة . لن ترحل غدا يا چو . ولسوفه تتحدث فى هذا الأمر مرة أخرى فى الصباح .

چـــو : أوه ، وما الفائدة ؟ انى راحل ، أؤكد لك .

آمى : (بابتسامة غامضة) لابد أنه شىء رائـــع أن تكون حرا مستقلا ، تضرب فى الأرض حيثما يطيب لك وتنام حيث تلقى بك المقـــادير ، لا روابط أو صلات .. تعمل يوما وتهيم على وجهك أسبوعا ، هنا وهناك ، أنت وال .. ماذا تسميهم ؟ « التراحيل » ؟ هه ! انى لا أرى أى معنى فى طرق أبواب المزارعين لاستجداء طبق

من الشربة الباردة أو قطعة من الفطير الباقية منذ الأحد الماضى .. لقد كنا فى « سانتا كلارا » نخصص كلبا لأولئك الغلمان . يخيل الى أنها حياة لطيفة ، ما دمت تحبها على أنى لا أطيق أولئك المشردين كثيرا ..

تونى : چو ليس مشردا يا آمى .

آمى : حقـا ؟

چـو : (مقهورا) يجدر بى أن أقول طابت ليلتكم .

الأب ماكى : (صائحا فى عنف من الخارج) ليس من حقك على الاطلاق أن تقول ان قانون حظر الخمور مقدس ، انه لم يحظ برضاء الكنيسة !

(تونى ينظر الى الاثنين فى ذهول وذعر .. چو يشرع فى الانصراف . آمى تبتسم يحدوها شعور بالانتصار ، الا أن الموقف ينقذه حدوث هرج ومرج ، وفجأة يزدحم الدهليز بضيوف الحفل .. رجال وسيدات واطفال ، كبار وصغار ، سمان ونحاف . يتبعون الطبيب والأب ماكى المنهمكين فى مناقشة حامية) .

الطبيب : هل الكنيسة تتعارض مع القانون أم لا .

الأب ماكى : الكنيسة تعارض التدخل فى النعم الالهية .

الطبيب : (وهو يدخل) انه أعظم حركة اصلاحية منذ الغاء الرق .

الأب ماكى : (وهو يدخل) « مدير المأدبة ينادى العروس ويقول له : كل امرىء يقدم لديه من نبيذ جيد أولا » .

الطبيب : أوه ، يا للجحيم !

الأب ماكى : أنت شاب فاسق ملحد ، والا ما صدر منك مثل هذا الكفر ! اننى لا أشجع السكر ، ولكن ثمة أشياء كثيرة ألعن وأضل سبيلا .. ماذا عن الزنا ؟ أليس الزنا خطيئة ألعن من السكر ؟ أنت تعتقد انك تستطيع الحد من السكر بالقضاء على الكروم . وأظنك تعتقد أنه فى امكانك ايقاف الزنا بالقضاء على النساء جميعا !

چـو : هيا أجب أيها الطبيب .

الطبيب : ان الكحول سم للجهاز الهضمى كله سواء صنعته فى جهاز للتقطير أو فى برميل . انه سم ، والسم لا يمكن أن يكون ذا فائدة لأى انسان .. أما عن الكنيسة ..

الأب ماكى : (غاضبا) انه لا يكون سما اذا لم تسكر منه ،

وانك لا تسكر اذا كنت كاثوليكيا صالحا !

الطبيب : أتظن أن السكر وقف على الملحدين العلميين مثلى ؟

آمى : لا شك انك كنت تعبدً عبا فى الخارج أيها الطبيب .

تونى : لا تتشاجروا !

الأب ماكى : سوف تعذرنى يا تونى ؛ فانى أسمع أولئك الملحدين يملأون جوفهم بالشراب المحرم ثم يطلقون على قانون حظر الخمور قانونا مقدسا !

(تغرق بقية المناقشة وسط هرج الجمع ومرجه . يحاول الطبيب اخراجهم فى بادىء الأمر) .

الضيوف : مساء الخير .. نوم هنىء .. عاش أنطونيو .. تحياتنا .. مساء سعيدا وشكرا جزيلا .

چو : لقد انفض الحفل .

الضيوف : كيف حالك يا أنطونيو ؟ كيف الأحوال ؟ نريد أن نشاهد السيدة .. شكرا يا أنطونيو وعمت مساء .

الطبيب : (مخاطبا چو) اخبرهم أن يكفوا عن هذا الضجيج .

الضيوف : شكرا أنطونيو .. ألف شكر يا أنطونيو .. عمت مساء يا أنطونيو .. ألف شـــكر والى اللقـــاء !

الطبيب : أبعد هؤلاء الايطاليين من هنا ! .. كفانا ما لقيناه من ضجيج من ذلك السكير العجوز المتعصب !

الأب ماكى : أيها الأفاق الملحد !

تونى : بحق ســيدتى العذراء أيها القس ؛ كف عن العراك (للجمع) : اه !

الطبيب : (وهو ما يزال يحتجز الجماهير فى المدخــل) كلا .. لا يمكن أن تدخلوا !

الضيوف : نعم ؛ نعم أيها الطبيب .. نعم نعم أيها الطبيب .. نرجوك أيها الطبيب .

الطبيب : كلا .. ان تونى مريض جدا !

تونى : هدىء من روعك أيها الطبيب ؛ واجلس .
(الضيوف يتدفقون الى الداخل بينما تونى يناديهم) تعالوا .. تعالوا هنا .. تعالوا جميعا .. تعالوا جميعا .:

الضيوف : كيف الحال ؟ هل أنت بخير ؟ هل تحسنت حالك يا أنطونيو ؟ لقــد قاسيت كثيرا ! مسكين ! مسكين !

تونى : (ممسكا بغلام صغير) ها هو صاحبنا چيوڤانى ! آه ، يا له من ضخم ومليح وقوى ! كم يزن ؟

ام چيوڤانى : نعم ! انه كبير ، أليس هذا صحيحا ؟ انه يزن ٦٥ رطلا .

تونى : خمس وستون ! (مخاطبا آمى) انظرى اليه يا آمى ! انه يزن خمسا وستين رطـلا مع أنه لا يتعدى ..
(مخاطبا أمه) كم عمره ؟

ام چيوڤانى : تسع سنوات فقط .

تونى : ان عمره تسع سنوات فقط ويزن خمسا وستين رطلا !

ام اخرى : وهذه ابنتى يا أنطونيو .

(فتاة صغيرة تجرى وتلقى بذراعيها حول عنق تونى وتقبله .. صيحات مرحة) .

تونى : (للأم) آه .. ما اسمها ؟

الأم الثانية : ماريا مادالينا روزينا ڤيتوريا أمانويلا .

تونى : ماريا مادالينا روزينا ڤيتة .. (مخاطبا آمى) أنظـرى الى ماريا مادالينا ! آه ، ان ماريا مادالينا قد كبرت وغدت امرأة جميلة ولطيفة مثل حبيبتى آمى .

أم چيوڤانى : وصغيرى چيوڤانى ! (لأم ماريا) يا للقديسة العذراء ! انها ليست أكثر جمالا من صغيرى چيوڤانى !

أم ماريا : (فى غضب) بل هى أجمل بكثير ! انها أكثر جمالا من غلام ضخم كهذا ..

أم چيوڤانى : انه ليس غلاما ضخما .. أتسمعين ؟

أم ماريا : نعم ! . ولكن يا عزيزتى ..

الرجـــال : (مهللين) چيوڤانى ! چيوڤانى !

السيدات : (فى نفس الوقت) ماريا مادالينـــا ! ماريا مادالينا !

الطبيب : يكفى هذا ، والآن فلتخرجوا !

انجلو وچورچيو : (وهما يواجهـان الجمع الصاخب) كفى ! كفى ! اغربوا ! اغربوا ! اخرجـوا ! هيا الى الشيطان !

(صخب ثم انسحاب) .

آمى : (تستوقفهم وهم على الدهليز) كلا . انتظروا لحظة ! أريد أن أقول لهم جميعا عمتم مساء .. طابت ليلتكم ! طابت ليلتكم ! شكرا لكم . لقد أتحتم لى أعظم عرس ، وانى لأسعد فتاة فى

العالم لأنكم أحطتمونى بعطف كبير . ولتعودوا فى الغد لتروا تونى وتطلعوه على الأخبار كلها .. طابت ليلتكم وليبارككم الله .

اصوات : نحن مسرورون جدا ! كم أنت لطيفة ! كم أنت جميلة ! كم أنت ظريفة ! شكرا جزيلا يا آمى .

چـــو : انهم يقولون لك شكرا ويتمنون أن يباركك الله .. هيا .. طابت ليلتكم .. انصرفوا وعودوا فى الغد .

(وهم يهبطون التـــل تندمج الكونسرتينا والجوقة فى أغنية جماعية) .

تونى : أوه يا آمى .. دعينى أهمس فى أذنك بكلمة .. أولست غاضبة من تونى لوقوعه فى الحب الى حد الهوس ؟ لقد جئت الى هذا البيت مثلما يأتى الربيع فى أعقاب الشتاء . لقد جئت الى هذا البيت مثل تلك الزهور القرمزية التى على عتبة النافذة . عندما قدمت أصبحت دنياى مثل جوف دن من النبيذ . أتفهمين يا آمى ؟ انى لا أستطيع التحدث الا بهذه الطريقة . لدى الكثير ، ولكنى لا أجيد الانجليزية حتى أعبر

لك عنه . ان حبيبتى آمى طيبة جدا ، جميلة جدا .. حبيبتى آمى .. (يكاد ينهار .. آمى تربت على يده) .

چـو : (للأب ماكى) انظر الى الايطالى المسكين .

الطبيب : لا تنصرف يا چو . أريدك لتعاوننى على ادخال تونى .

الأب ماكى : انصتوا (يرفع يده مسكتا اياهم ليستمعوا الى الموسيقى . يصب نبيـذا فى كأس) نخب العروسين !

چـو : (نفس الشىء) ألك فى كأس يا طبيب ؟

الطبيب : لا ، شكرا .

آمى : أوه . ! أيها الطبيب !

تونى : أيها الطبيب ، ألا تشرب نخب تونى ؟

الطبيب : أوه ، حسنا ! (يشرب مع الآخرين) مشروب كريه !

(يفرغ كأسه . يضحكون جميعا) .

تونى : ان ساقاى تؤلمانى جدا . لا أستطيع أن أنام .

الطبيب : جئت لك بشىء سيجعلك تنام (يمزج مسحوقا بالماء ويقدمه لتونى ليشربه) .

تونى : بحق المسيح ! لا أستطيع شرب الماء أيهـا الطبيب !

(بموافقـة الطبيب يضيف نبيذا الى المشروب) .

الطبيب : حسنا .. اشرب (تغيب الجرعة فى جـوف **تونى**) .

تونى : انك تبدين حزينة يا آمى !

چـو : وهل تلومها ؟لقد قضت يوما حافلا .

(يربت على كتفها . تنتفض غاضبة) .

آمى : لست حزينة .. لقد كان عرسا رائعا ، وكل واحد هنا قضى وقتا رائعا . أتسمع ؟ انهم ما يزالون يغنون . أليس هذا بديعا ؟ انى لا أريد أن أسمع المزيد ممـا كان يقوله لى الطبيب فى الخارج عن احضار ممرضة مدربة الى هنا من « ناپا » . سوف يجد تونى منى كل عـون ورعاية ، ولا يخافن أحد من أننى سوف أعمل ؛ اذ ليس أحب لدىّ من ذلك . وحينما يتحسن تونى ويقوى ولا يحتاج للبقاء فى الفراش طوال الوقت سيحمله چورچيو وانچلو الى الخـارج

فى الشمس وسوف أجلس الى جواره وأقرأ له الصحف . ولسوف نطل على المناظر ، ونستشعر ذلك النسيم الجميل ونستمتع سويا . وسوف يأتى الطبيب ويرانا ، وكذلك القس اذا استطاعا أن يكفا عن العراك . واذا شاء چو أن يرحل فليرحل . هذا كل ما هنالك . فلا تخافوا على آمى الصغيرة .. انها سوف تكون فى أحسن حـال .

(الطبيب والقس يتبادلان نظرات تدل على الرضا والموافقة) .

الأب ماكى : أنت فخر للأبرشية يا آمى .

الطبيب : (عند أحد طرفى السرير) امسك ذلك الطرف يا چو !

تونى : (ما زال مبهورا) حبيبتى آمى ..

آمى : أجل ، تونى .

تونى : ان النعاس يراودنى .

الطبيب : (بينما يرفع السرير مع چو) لا تعلو هكذا .

تونى : (وهو يئن ، وان كان فى مقـدوره أن يأخذ الزجاجة معه) .
انتظرا !

چـــو : اثبت ! . فلتمسك بالباب يا أبتاه .

الطبيب : تمهل هنا ، لا تسرع هكذا ..

آمى : انتبها ليده !

الطبيب : قصّر خطواتك يا چو .. ينبغى أن يدرب كل انسان على حمل النقالة . اننى حينما كنت فى فرنسا ..
(يتراجع بظهـره مجتازا الباب) اخفض من ناحيتك يا چو ! لسوف تصيبه بالسكتة .

تونى : آه !

چـــو : انى ممسك به (يسير عبر الباب ممســـكا بطرف النقالة . آهة أخرى من تونى . آمى تتجه نحو الباب) .

الأب ماكى : يحسن أن تظلى هنا لحظة .

(يدخل غرفة النوم . تترك آمى وحدها . تقف ساكنة بضع لحظات ، ثم تسقط على الكرسى منهارة . يعود الأب ماكى) .

الأب ماكى : انك لفتاة طيبة شجاعة .

آمى : شكرا لك .

الأب ماكى : ليس منا من لم يُبتلى ..

آمى : انى أعرف ذلك بالتأكيد .

الأب ماكى : اذا ما احتجت يوما الى كلمة تشجيع فاقصدينى يا ابنتى .

آمى : شكرا لك .

الأب ماكى : قد لا تكونين كاثوليكية ، ولكنى سأقف بجانبك قدر جهدى (آمى تبتسم ابتسامة فاترة) لقد كانت لى شكوكى حول هذا الزواج ولكن الله وحده هو الذى يقدر لكل فرد نصيبه فى هذه الدنيا ، ولقد وفق كلاكما أيما توفيق .

آمى : انى راضية بنصيبى .

(الطبيب يدخل ثم يغلق خلفه باب غرفة النوم فى هدوء) .

الأب ماكى : كونى صبورة معه . انه فى سن أبيك . وليس من مصلحة أى رجل أن يتزوج فى مثل سنه ، ولكنه شخص طيب .

آمى : أعتقد أنه من الأفضل أن أدخل اليه الآن .

الطبيب : (وهو يمسح يديه بطريقة طبية فى منـــديله النظيف) انه نائم . لم أر مثل هذا مطلقا منذ بدأت حياتى العملية . انها حالة يجب أن تنشر

على الملأ الطبى بأجمعه . ساقان مكسورتان هذا الصباح . العظم الأنسى ، عظم الشظية ، عظم الفخذ ، عظم الورك . يتم عمل الأشعة والتجبيس عقب الحادث بساعة واحدة . المريض يتزوج فى الظهر ويحضر عشر ساعات من الاحتفال الصاخب بدون حدوث أية مضاعفات ظاهرة .

آمى : (عابسة) نعم ! ماذا تطلب منى أن أفعل أيها الطبيب !

الطبيب : دعينى أرسل ممرضة فى الصباح .

آمى : كلا .

الطبيب : ان رجلا فى الجبس لفى حاجة الى عون كبير ، وخاصة أن الأمر سيطول .

آمى : انى لها . (غاضبة فجأة) يا الهى ! لابد أن يكون ثمة ما أفعله !

الطبيب : حسنا .. (يهز كتفيه) اذا استيقظ فى الليل اعطه مرة أخرى من ذلك المسحوق فى قليل من النبيذ . النبيذ لن يؤثر على الدواء كما أن الماء قد يقتل المريض . هه أيها القس ؟

آمى : هل هذا هو كل شيء أيها الطبيب ؟

الطبيب : ذلك هو كل شيء . سوف أعود فى الصباح الباكر .

آمى : شكرا لك .

الطبيب : أما زلت على رأيك بالنسبة للممرضة ؟ (تومىء برأسها) انك لتتقبلين المسألة برباطة جأش .

آمى : أهناك أى شيء آخر يمكننى عمله ؟

الطبيب : طابت ليلتك . ان جو يجهز لك سريرا ، وسوف يكون رهن اشارتك اذا ما احتجت اليه .

الأب ماكى : (منصرفا مع الطبيب) لم أقبّل العروس بعد .

الطبيب : هيـا !

(يدفع الأب ماكى أمـامه ، ويخرجان . تتلاشى أصواتهما .
آمى تعود الى المنضدة ، وبحركة آليـة تنزع أقراطها . آچى يدخل من البـاب الخارجى حاملا صينية عليها أكواب . چو يدخل من حجرة النوم ، ويغلق الباب خلفه فى حـذر) .

چـو : ادخل أنت يا آچى ، سوف أنام هنا .

(آچى يذهب الى مطبخة ، چو يرقب آمى بنفس العبوس المتحير الذى اكتسى وجهه منذ أن قلبت له ظهر المجن) .

آمى : (تشيح فى عبوس) لقد هيأت لك سرير تونى الكبير . أما أنا فسوف أنام هنا ؛ فقد تحتاجين لأية مساعدة .

آمى : حسن .

چـــو : طابت ليلتك (ينهمك فى اعـداد فراش مريح لنفسه) .

آمى : طابت ليلتك يا چو .

چـــو : اهدئى بالا .. سوف يكون كل شيء عـــلى ما يرام .. طابت ليلتك .

آمى : لا شك أنك تظن نفسك الله العظيم ؛ أليس كذلك ؟

چـــو : انى لا أفهمك .

آمى : أوه حسنا ، « دعها تمر » . يبدو أننى منحرفة المزاج .

چـــو : (وهو ما يزال منهمكا فى اعداد فراشه) ربما كان ذلك من النبيذ . انه لا يلائم البعض .

(فترة صمت قصيرة) .

آمى : يخيل لى أننى مهتاجة الأعصاب فقط .

چـــو : لو أن هذه ليلة زواجى لاهتاجت أعصابى .

آمى : حقــا ؟

چـو : لو كنت فتاة ، لانتابنى ذلك الاحساس فعلا .

آمى : ربما كان ذلك هو سبب هياجى .

چـو : هو ذلك قطعا .. كثيرا ما أفكر فيما تواجهه الفتاة حين تقدم على خطوة كبيرة كالزواج مثلا .. كل شيء جديد وغير مألوف .

آمى : نعم .

چـو : ولكنى لا أدع شيئا يقلقنى اذا كنت مكانك .

آمى : لن يقلقنى شيء يا سيد چو . (تتناول أحد المصابيح) .

چـو : هذا حسن منك .. طبت مساء .

آمى : طابت ليلتك (تلتفت وتنظر اليه فى حنق) .

چـو : اسمعى يا آمى ..

آمى : لا أذكر أنى أذنت لك أن تستعمل اسمى المجرد .

چـو : معذرة .. فقط .. ثمة شيء أود أن أقوله لك قبل أن أرحل ، اذ أنى راحل . انى راحل فى الصباح بمجرد أن يستيقظ توئى حتى أستطيع أن أودعه . ولكن ثمة ما أريد أن أسألك عنه .

آمى : وما هو ؟

چـــو : أنت تحبين تونى ، أليس كذلك ؟

آمى : لقد تزوجته ، ألم أفعل ؟ كما أنى تركته يمنحنى بعض المجوهرات ، ألم أفعل ؟ ان الفتاة المهذبة التى تحترم نفسها لا تقبل مجوهرات من رجل لا تحبه ، وخاصة المجوهرات الحقيقية .

چـــو : أعرف ذلك .. ولكن .. ليس هـــذا ما عنيته تماما .. لأن تونى — أوه ، صحيح أنه ايطالى أحمق ، ولكنه مع ذلك خـــير من عرفت فى حياتى . ان تونى انسان طيب القلب ســـليم الطـــوية .. ولست أحب أن أراه فى ضيق ، أو تعسا ، أو أن أرى أحدا يؤذى شعوره ، أو شيئا من هذا القبيل .

آمى : (بنظرة فاحصة) أوه ، حقا ؟

چـــو : نعم .. وكل ذلك يتوقف عليك الآن .. ثم .. حسن ، لقد لمست كم هو انسان طيب ولطيف .. أليس كذلك ؟

آمى : لم يحدث أنى شكوت منه فيما أذكر .. وعندما أشرع فى الشكوى سيكون ثمة متســع من

الوقت للدخلاء لكى يزجوا بأنوفهم ويدلوا بتعليقاتهم .

چـو : لا تغضبى .

آمى : (غاضبة مرة أخرى) من الذى غضب ؟ اسمع ؛ انى مدركة لمسئولياتى ؛ أفهمت ؟ لقد تزوجت من أجل حياة عائلية ، أفهمت ؟ وهأنذا قد حصلت على بيت ، أليس كذلك ؟ لقد رغبت فى الابتعاد عن العمل فى المدينة .. حسنا ، هأنذا بعدت ، أليس كذلك ؟ انى فى الريف ، أليس كذلك ؟ كما أنى لا أقوم بأعمال شاقة فيما أرى .. أوه ، انى أدرك ما ينتظر منى ، ولن أقعد عن أداء واجبى .. لا تقلق ، والـزم طريقك ، وكن وشأنك .

چـو : أوه ؛ حسن !

آمى : لقد حصلت على كل ما أردته وأكثر .. انى راضية قانعة . انى لم آت الى هنا ، مثل ما فعلت ، بحثا عن الحب .. أو أى شىء من هذا القبيل .

چــو : ينبغى أن أقر بأنك قد أوتيت قدرا كبيرا من الادراك اللعين .

آمى : أرجوك أن تقلع عن هذا السباب .

چــو : لقد أسأت فهمى يا آمى ، وانى لأعتذر . ربما لأنى كنت أرى جانب تونى فقط فى المسألة . ان فتاة أخرى كانت لتغضب أكثر منك لما بدر من تونى . ولكنك تتمتعين بروح رياضــــية . فى الواقع انى لمعجب بك (يؤكد اعجابه بربتة أخرى على كتفها) .

آمى : بالله دعنى وشأنى ، ألا تستطيع ؟

چــو : (فى لهجة غاضبة) أستطيع بالتأكيد ! عمت مساء !

آمى : طابت ليلتك ! (تقف ساكنة ، وكذلك چو . على البعد البعيد تبدأ من جديد النغمات المنطلقة للحن « ماريا مارى ») .

چــو : سوف أنام هنا حتى اذا ..

آمى : ليس ثمة داع البتة لنومك هنا .

چــو : من أين لك أن تعرف أن تونى ..

آمى : فى مقدورى أن أرعى تونى ، وكلما بعدت عنى

كلما أصبحت أكثر رضى وسرورا .

(عيناهما تتقدان) .

چـــو : حسن ، اذا كان هذا هو رأيك ، فســـأعود أدراجى الى كوخى (يلتقط سترته ويأخذ طريقه نحو البــاب) ان ذلك الايطالى سيظل يغنى طوال الليل (يظهر فى الخارج فى الدهليز) .

آمى : چو !

چـــو : ماذا ؟

(يعـــود) .

آمى : هل لديك مانع من البقاء دقيقة واحدة ؟ أود أن أوجه اليك سؤالا .

چـــو : الىّ به ..

آمى : عليك أن تصدقنى القول هذه المرة .. لا أبغى شيئا سوى الحقيقة .. هل كنت تجهل حقــا وصدقا مسألة ارساله لصـــورتك بدلا من صورته .. هه ؟ ألم تكن تعلم شيئا مطلقا عن ذلك ؟

چـــو : أقسم لك بالله أنى لم أكن أعلم .. بالله ..

آمى : أتقسم بشرفك ؟

جــو : غير حانث .

آمى : انى لسعيدة بذلك . وانى لأريد أن أعتذر لك عما قلته منذ لحظات ، وعما قلته من قبل — وخاصة كلمة متشرد .. انى لآسفة يا چو . هل تعفو عنى ؟

جــو : أوه ، لا بأس .

آمى : وانى لا أود أن ترحل غدا وفى ذهنك هــذه الفكرة الوضيعة عن أخلاقى .

جــو : ليس فى ذهنى شىء من هذا القبيل .

آمى : حقــا ؟

جــو : فلنتصافح (يتصافحان وهما واقفان فى المدخل) انك تبكين !! .. ماذا دهاك يا صبية ؟

آمى : أوه ، لست أدرى .. لا شىء .. انى بخير .

جــو : اهدئى .. لا يضيقن صدرك .. تقبلى الأمــور على محملها الحسن .

آمى : ليس هذا .

جــو : تقبلى الأمور على محملها الحسن ، على أى حال .

آمى : انى أحاول ! انى أحاول .

جـو : (ويداه فوق كتفيها) انك متزوجة من رجل طيب . انى أدرك أن العرس كان غريبا بالنسبة لاصابة تونى وما الى ذلك . ولكن اصبرى قليلا ، ولسوف يصبح كل شىء على ما يرام .

آمى : أراهن أن كل أولئك الناس يضحكون منى .

جـو : كلا يا آمى ، انهم لا يضحكون .

آمى : أراهن أنك تضحك منى .

جـو : كلا يا آمى .. انى لآسف ..

آمى : (مبتعدة عنه) اتركنى وشأنى ، ألا تستطيع ؟

جـو : (فى صوت خفيض) انك بخير يا آمى .. انك بخير تماما .

آمى : لقد كنت بخير دائما الى أن جئت هنا . أما الآن فانى أتمنى لو كنت ميتة ! أتمنى لو كنت ميتة !

جـو : لا تتكلمى بهذه الطريقة . انك بخير .

(يمسك ذراعها بغلظة . تتعثر ، فيمسك بها . تسود لحظة من السكون لا يتخللها الا أنفاسهما العميقة كما لو كان جسد كل منهما متصل بالآخر . فجأة وبدون مقاومة يضمها الى صدره ويقبلها . تقاوم لحظة ثم تستسلم) .

تونى : (مناديا من غرفة النوم) آمى !

(تنهار وهى تنتحب فى نوبة هستيرية) .

چـــو : **(هامسا) يا الهى !**

(تكتم صرخة قصيرة ثم تتجه نحو غرفة النوم) .

لا ، لن تدخلى ..

(يمسك بها)

آمى : (مقاومة) دعنى !

تونى : آمى !

(تفلت وتجرى مذعورة خـارج البيت .
چو يقف منصتا لحظة ، ثم يجرى خلفها
بينما يسدل الستار) .

الفصل الثالث

المنظر كما هو ، ولكن وجود المراة ترك بصماته على كل شيء .. فالنوافذ تزينها ستائر من « الكريتون » الأنيق ، وان يكن غير غالى الثمن . آنية زهور خزفية زاهية اللون تضم باقة من زهور « الچيرانيوم » ــ قائمة على مقعد شرقى مزخرف . اضيفت الى المصابيح مظلات فنية ، بعضها فى صورة حرير زاهى اللون مركب فوق هيكل من السلك ومزين بورود من نفس النسيج ، وفى لون اخف ، والبعض الآخر من الجلد الرقيق رسمت عليه طواحين هواء وأطفال هولنديون . فوق الحوائط لوحات جديدة منتقاة من احد المعارض الاقليمية ، ربما كانت احداها صورة لنجمة سينمائية معروفة . ولقد حلت تلك اللوحات محل صور واشنجطون وغاريبالدى واعلان شركة الملاحة الايطالية . وسائد من الجلد منقوشة وموشاة باتقان تملأ المقاعد الكبيرة . مفرش محلى برسوم رائعة يغطى منضدة غرفة المائدة . الزهور الموضوعة فى الوسط تبدو فى وضوح انها صناعية . سلة مهملات بيضاء يطوقها شريط أحمر فاتح ، مما يضفى على احد الاركان منظرا بهيجا . فى ركن آخر من الحجرة يوجد « جرامافون » .

مضت ثلاثة شهور . الوقت عصرا .

كرسى لمريض هيء بوضع لوح خشبى بين قاعدة الكرسى المغربى وسطح صندوق . على هذا المقعد يرى (تونى) ممددا وعكازاه ملقيان الى جواره . (الأب ماكى) جالس على كرسى

آخر وقد اخذ راسه يميل من النعاس . (چو) جالس على درابزين الدهليز خارج النافذة يتتبع العناوين الضخمة فى احدى الصحف العمالية .

الاب ماكى : (مواصلا المناقشة) لا يا چو .. لا تحاول أن تقنعنى بأن الأمور ستتحسن اذا ما حدثت ثورة ، فهى لن تتحسن . ان الحكومات هى الحكومات دائما مهما أضفيت عليها من أسماء ، وليس أى نوع خاص منها الا لافتة أو شعارا .. أنت لا تغير شيئا من جوهرها حينما تطلق على أى منها اسما جديدا . ضع ورقة مكتوبا عليها « روح النعناع » على زجاجة زيت خروع ثم اشربها ، وانظر ماذا يحدث لك .. انه زيت الخروع قطعا !

تونى : انى أعمل قدر ما يعمل چو تماما ، ورغم ذلك فلست راغبا فى تغيير أى شىء .

چـــو : أعتقد انكما انتقلتما الى هنا بادىء ذى بدء لأنكما كنتما راضيين عن كل شىء كما كان فى ايطاليا .

الاب ماكى : الطبيعة البشرية هى الطبيعة البشرية ، والسبيل الوحيد لخلق الحكومات هو الطاعة .. أما تبديد

الجهود فى الجأر بالشكوى واختلاق الشعارات فلن يحقق شيئا . والطريق الوحيد الذى يحول دون الثورة وأن تكون فوضى لا جدوى منها هو أن تغير من أفكار الناس ، ولله الحمد ليس هناك من يستطيع تحقيق ذلك .

چــو : انها تتغير بالفعل ، يا أبتاه .

الأب ماكى : انى أتحدث اليك وقد خلعت عنى مسوح الراهب يا چو ، فأطلعك على أسرار الكنيسة الأم التى تدرى كل الأفكار فى هذا العالم أجمع ، وتعلم أنها لا تتغير قط . انها لم تكف عن التذكير بنفس المبادىء لأنها تعلم أنه ما من مبادىء جديدة تستحق الالتفات .

تونى : ان الناس يفدون الى الولايات المتحدة لأنها مكان طيب . لقد جئت الى هنا لأكون ثروة .

چــو : ولقد نجحت بالتأكيد .

تونى : أنت لا تفهم يا چو . انك تردد أفكارا طائشة . لقد أتيت الى هنا لأكون ثروة وهذا أنت تريد أن تأخذ منى كل ما جمعت .

چــو : ما هى فكرتك عن التقدم يا أبتى ؟

الأب ماكى : هو أن تحسّن ذاتك ! والآن يا چو لقد لاحظت أنك تتحدث فى صلف وعجرفة عن حكومة الولايات المتحدة . ولا جدوى من التعريض بالحكومة بينما أنت لا تملك السلطان على عمل أى شىء لاصلاحها . لقد أوتيت المقدرة على اصلاح نفسك ، بيد أنى أرى أنك لم تفعل .

تونى : ما شأنى والحكومات ؟ انهم يقولون لى ان الملوك فاسدة ، وان الحرية هى أروع الأشياء .. وماذا يعنينى من أمر الملك ؟ وما شأنى والحرية ؟ الجميع يقولون ان هذه الحكومة سيئة لأنها أصدرت قرار حظر الخمور ، وانى لأقول ان هذا القرار هو الذى جعلنى غنيا جدا .. لكل انسان رأيه الخاص فيما يتعلق بمصلحة غيره من الناس .

چـــو : الواقع أنك رأسمالى محض ! لا شك فى ذلك !

تونى : أنت ترهقنى يا چو .. دائما تتحدث عن روسيا .. روسيا .. حسبك !

چـــو : ان روسيا لديها الفكرة الصائبة .

الأب ماكى : استمع الىّ أيها الشاب . لو أنك أوتيت

النشاط ، واحترام السلطات وعفة النفس —
مما توفر لتونى ، ما كنت لتصر على حديثك
هذا عن الثورة الروسية . هذا غير معقول .
لقد قرأت الكثير من كتاباتكم المتطرفة ، واذا
سألتنى فانى أقول لك انها كتابات بلهاء . قد
أكون قسيسا وراهبا ، ولكن ذلك لا يتنافى مع
كونى بشرا . وليس هناك أى رجل بمعنى الكلمة
لا يستفيد من أخطائه . أما أنتم أيها المتطرفون
فلا تكفون عن الصراخ مطالبين بحقوقكم .
وماذا عن واجباتكم ؟ ليس ثمة ما يمنعكم من
أداء واجباتكم ، ومع ذلك فانكم لم تؤدوها
فى حياتكم .

چـــو : انى مدخر واجباتى من أجل أخوّة الانسان .

تونى : يا الهى !

الأب ماكى : أنت لا تكف عن اللغو والثرثرة .. كن وشأنك ،
ودع أخوة الانسان لى . الاخوة هى رسالتى.

تونى : هل تعتقد أن الانسان سيصبح أخا لغيره حقا ،
ويكف عن هـــذا التطاحن ؟ يا له من رأى

سخيف ! بالله انك لا تعقل يا چو ، أنت وأولئك العمال الملاعين ..

الأب ماكى : لقد أخذت أفكر فى هذا مليا يا چو منذ أن طلب منى تونى أن آتى لأتحدث اليك . ولقد توصلت الى نتيجة هى أن رأس المال والعامل سيظلان فى عراك دائم حتى نهاية الزمان ؛ وسوف يكون هناك دائما من يناضل من أجل الفقراء . ولقد أوقفت حياتى كلها من أجل هؤلاء ..

چو : (وقد تملكه الغضب ، يدخل الغرفة) حقا ، لقد فعلت ! ويا له من نضال ذلك الذى لم تخص به سوى نفسك !

تونى : (متحدثا فى نفس الوقت) لا يا چو ، لا يتملكك الغضب . انصت لما يقوله القس .

الأب ماكى : (متحدثا فى نفس الوقت) .. ولكنى أدركت منذ وقت طويل ان الجالسين على القمة محتاجون الى نفس القدر من الرعاية التى يحتاجها الآخرون . على أنى لم أستطع أن أكون ذا فائدة لأى منهما لأنهما لا يكفان عن الشكوى .

تونى : اننى مواطن أمريكى مذ عشرين عاما ، وكنت أدلى بصوتى فى الانتخابات كل سـنة وربما مرتين فى العام أحيانا . الانتخابات شىء لطيف ، انى أحبها فهى تجعلنى أشعر بأنى رجل صالح ووطنىّ مخلص . ولكن ما الذى أعـرفه عن الانتخابات ؟ لا شىء . ولست أعبأ بأى شىء أيضا . أنت تعتقـد أنك تعرف الكثير ، اه ؟ وتريد أن تغير كل شىء ، وحينما يتغير كل شىء حسب هواك سيأتى آخرون ليغيروك . لا فائدة . (نظرة تحدّ حوله) انظر الىّ وافعل كما فعلت . تزوج زوجة لطيفـة مثل حبيبتى آمى وعش هادئا فى بيت جميل ؛ وكوّن ثروة مثلى ، و .. و .. وربّ عددا وفيرا من الأبناء كما سأفعل.. هذه هى الحياة ، وليست بالجرى فى كل مكان . اللعنة على الحكومة والعمال !

چــو : ها قد انكفأ تونى الى الحديث عن الأطفال . الواقع أنى لن أدع فرصـة تلوح لى دون أن أنتهزها . ولسوف أذهب الى فريسكو لأرى ما يجرى هناك .

الأب ماكى : حسن يا چو . انى أفهم أنك تريد أن تنفض عن قدميك غبار هذا المكان . ولكنى أود أن أقول لك ان مغامرات الروح أكثر فائدة ومتعة من مغامرات الجسد . فليس فى مقدور الانسان أن ينعم عن طريق جسده الا بملذات قليلة ، أما متع الروح الخالدة فلا حصر لها .

تونى : لقد أسعد الحظ چو بوظيفته الطيبة هنا . وحين تحدث عن الرحيـــل فى المرة الأخيرة نصحته بالبقاء لادارة الكرمة فقبل نصيحتى . ويجدر به الآن أن يقبلها مرة اخرى .

(الأب ماكى يزعج عنه صحف چـــوكمن يزيح شؤما) .

چـــو : أرى أن هذه الصحف تسبب لك الضيق أيها القس .

الأب ماكى : اسمع نصيحتى واحرقها .

تونى : ان چو لا يقصد اساءة أحد .

چـــو : ربما لا أقصد شيئا على الاطلاق . ربما لا يعدو الأمر أنى قلق أهفو الى الرحيـــل . انى أقرأ هـــذه الأشـــياء لأنها تحملنى على التفكير . والانسان ينبغى له أن يفكر اذا تيسر له ذلك .

أوه ! هذا خير من الحديث الفج الذى لا طائل وراءه . انى أفكر فيما يمكن أن أفعله لأنخرط فى ذلك الصراع . كان ينبغى أن أكون موجودا أثناء اضراب عمال الميناء فى « سان پدرو » ، ولكنى لم أكن هناك . ولست أريد أن تفوتنى معركة أخرى كبيرة مثل تلك . انكم لا تفهمون أيها الرفاق ، ولكننى أقول لكم : ربما كنتم على حق ، وأنا المخطىء ، ولكن لا مندوحة لى . وحين أصـــل الى فريسكو ربما أسمع نفس الحكاية القـــذرة من نفس الأفواه القديمة الصارخة كما هو الشأن دائما . وربما تضيق نفسى وأهجرها الى الجنوب من أجل جمـــع البرتقال ، وربما عدت الى السكك الحديدية وربما الى آبار البترول . ولكن ، يا للجحيم ! . اننى أنوى الرحيل كل يوم منذ ثلاثة شهور .. ولكنى سأستجمع عزمى وأرحل غدا أو بعد غد . سوف أعود يوما يا تونى . على أى حال ليس ثمة فائدة ترجى من شخص مثـــلى .. لا تفزع .. يا للجحيم !

تونى : ان مصيرك السجن لا محالة .

چـــو : وقد يكون ما هو ألعن من ذلك . لقد زج بأحد الأشخاص فى السجن فى « كوينسى » بمقاطعة « بلوماس » أثناء عودته لأنه كان يحمل بطاقة من بطاقات عمال التراحيل — مثل هـــذه (يريهم بطاقة صغيرة حمراء من الورق المقوى) ولقد التمس محاميه من القاضى أن يخفف عنه الحكم . قال له : « يا صاحب الفخامة ان هذا الفتى خدم فرنسا وحاز وسام الحرب وصليب الخدمة الممتاز » ، وهنا قفز الشـــاب وقال : « لا تأبه لهذا الكلام الفارغ ، انى لا أريد جاها أو حظوة على أية أعمال قمت بها من أجل حكومة تقول لى انه حتم علىّ أن أدخل السجن لأنى أناضل فى سبيل حقوقى » .

الأب ماكى : هل تريد أن تذهب الى السجن ؟

چـــو : قلت لك انه ثمة أماكن ألعن من ذلك . وفضلا عن هذا فلقد ذهبت اليه مرة .. ان ذلك الفتى الكوينسى حكم عليه بأقصى العقوبة ، ولكم أود أن أصافحه .. يقول تونى ان هذا البلد

حر .. حسن .. يتعين على تونى أن يعرف أنه يهرّب الخمور ..

تونى : (غاضبا) ها !

چـــو : ان ما أعنيه هو ما يلى : الحرية الوحيدة التى بقيت لنا هى حرية اختيار الحق الذى نذهب فى سبيله الى السجن .

الأب ماكى : (فى عنف) چو !

تونى : ش ش ش ! ها قد جاءت آمى .

آمى : (من الخارج) آچى !

(چو ينهض . الأب ماكى يتوقف عن خطابه. تنبسط أسارير تونى . آمى تدخل مرتدية ثوبا فاتحا وقبعة حمــراء من القش تبين منها خصلات من الشعر تنســـدل على وجهها . منفضة تتأرجح فــوق كتفها فى حركات سريعة . سلة السوق تتدلى من ذراعها ، وقد برزت فى أعــلاها زهـــور ترمس قد تفتحت حديثا) .

آمى : تتشاجرون ثانية ، أليس كذلك ؟ وما الموضوع هذه المرة ؟ هل فتح چو جبهة من جبهـــاته الحامية ؟ (تضع السلة على المنضدة ، وتنزع القبعة والمنفضة ، وبينما هى تفعل ذلك تلحظ

صحف چو) أُو هو ! اذن فهذا هو الأمر !
(چو يطوى الصحيفة فى أناة) هل رأيت هذا
يا تونى ؟ (تنشر زهور الترمس وتشرع فى
وضعها فى آنية الزهر الى جوار الزهـــور
الصناعية) أليست بديعة ؟ انها لجميـــلة حتى
ليظن الانسان أنها صناعية .

الأب ماكى : لقد كنا نتحدث عن اصلاح الوضع الاجتماعى .

آمى : لا شك أنكم قضيتم فى ذلك يوما ممتعا .
(تحتضن رأس تونى ، وتدعه يربت يدها)
ألم يأت الطبيب بعد ؟

تونى : الطبيب لا يأتى اليوم .

آمى : بل انه ليأتى اليوم بالتأكيد .

چـــو : انه يأتى يوم الخميس .

الأب ماكى : واليوم أربعاء .

آمى : كم أعجب لكم !! هأنتم تصلحون شأن العالم
بينما لا تعرفون فى أى يوم من الأسبوع نحن .
أليس الرجال فى منتهى الغرابة ؟

تونى : ليس هناك من هو أفطن من حبيبتى آمى .
(بهزة من رأسها تدلف الى المطبخ) .

آمى : لن أعطلكم ! استمروا (فى المطبخ) آچى .. أوه ، هأتتذا . ..

الأب ماكى : الخميس ! انه يومى الذى أتحدث فيه الى الصبية فى مدرسة الأبرشية .

چــو : لقنهم ما لقنتنيه لتوك أيها القس .

الأب ماكى : ان ما أخبرتك به كان سرا يا چو .. ويؤسفنى أنك لم تصغ له .

آمى : (عائدة تحمل طبقا به تفاح وسكين) أرأيت يا تونى ؟

تونى : تفــاح !

آمى : حزّر لماذا ؟

تونى : فطيرة تفاح ؟

آمى : (تجلس الى جوار تونى وتستغرق فى تقشير التفاح) حسن . قد يحتاج العالم الى اصلاح ، ولكن ليس ثمة من أشكو منه . ان الكروم على وشك النضج وحان قطافها . والليل آخذ فى الطول ، والصباح أضحى أكثر برودة ، وتونى فى تحسن . وفى المدينة يضعون الاعلانات عن السرك .. وقد سمعت أنه سـيقام فى موضعه

الشتوى على الجانب الآخر من نابا . هـذا فى ظنى هو كل ما لدىّ من ملاحظات .

چـو : هاقد جاء الطبيب ، والآن .

الطبيب : (من الخارج) ايه !!

آمى : هـا !!

(يظهر الطبيب ويصافح آمى ، يومىء لچو والقس ثم يقترب من تونى) .

الطبيب : كيف حال العكازين ؟

آمى : لا بأس .

تونى : أتريد أن ترانى أمشى أيها الطبيب ؟

الطبيب : ربما أريد ذلك .. فلنر .. (يتحسس الساق المصابة) العظم الأنسى .. عظم الشظية .. يبدو كل شىء على ما يرام .

تونى : (فى تعبير تشريحى تشوبه الكبرياء) العظم الوركى ؟

الطبيب : (ينهض ويومىء موافقا) حسنا يا تونى . أرنا ما يمكن أن تفعله . حذار من القفز ! اسنده يا چو .

(يقف جانبا يرقب الموقف . چو يساعد تونى الذى يقف على عكازيه وهو يقبع (١) ثم يبتسم فى فخر) .

---

(١) يحدث صوتا كالخنزير .

تونى : انى أحس بالألم هنا (يشير الى الابط) ولكن الأمور تتحسن (بضع خطوات مترنحة) .

الطبيب : اثبت ! . (يضحك اذ يرى تونى يتهالك مستندا على الكرسى) ما أجدر أن توضع فى معرض . لو أن أحدا قال لى فى ذلك اليوم الذى ألفيتك فيه مسجى على المنضدة أننى يمكن أن أراك واقفا على عكازين فى ظرف ثلاثة شهور ! حسناء كل ما أستطيع قوله هو أنه من المفيد أن يعرف المرء كيف يجبر الكسر .

آمى : أعتقد أن هـذا يصور لك أى طبيب ناجح أنت .

الطبيب : يعود اليك بعض الفضل لحسن تمريضـــك يا سيدتى .

الأب ماكى : ان تمريضها له فعل السحر .

آمى : من الطريف أن تقول هذا أيها القس . لقدكشفت عن طالعى يوما فى « فريسكو » فى كتاب خاص بعلم الكف كانت تملكه احدى صديقاتى . ان كل شىء فى كفك يعنى أمرا ما كما تعلم . هل ترى هذه النتوءات ؟ أليست مضحكة ؟ حسنا ،

لقد قال الكتاب انها تعنى أنى ممرضة ممتازة وأنى أستطيع أن أعتنى بأى شخص مهما كان مريضا . هذا ما جعلنى لا أسمح باستحضار ممرضة مدربة أيها الطبيب . لقد كنت أخشى ألا تكون لديها هذه النتؤات .. يا الهى ؛ لقد اوتيت يدين عجيبتين !

الطبيب : لست على يقين أن العلم يهتم كثيرا للنتؤات التمريضية يا سيدتى ، ولكنك قد منحت اياها بالتأكيد . انى أعترف بذلك .

تونى : ان حبيبتى آمى هى أعظم ممرضة رأيتها .

آمى : أوه ، تونى !

الطبيب : انى أريد أن أضع مريضك فى الشمس . هل ثمة مكان مستو يصلح لذلك ؟

آمى : تحت الخيمة ... أوه ، تونى !

تونى : بعد ثلاثة شهور فى هذا البيت الكئيب !

الطبيب : فلتجلسيه معتدلا فى كرسى كبير مريح !

آمى : وعدد كبير من الوسائد .

تونى : لعلك لم تنسى يا آمى وعدك لى بقراءة الصحف فى الشمس بالخارج .

آمى : انى لم أنس بالطبع .

الطبيب : هيا الآن اذن .. أريد أن أراك راضيا مستريحا..

تونى : (يعرج نحو الباب وينادى) چورچيو .. انچلو .. هأنذا !

(چورچيو وانچلو يصلان وسط دوامة من العبارات الايطالية . تونى يعرج غائبا عن الأنظار . آمى تتبعه حاملة وسادتين وتنظر الى الطبيب ضاحكة . الأب ماكى يحمل اللوح والصندوق . الطبيب يتجه نحو الباب كما لو كان ينوى اللحاق بهم . يقف وهو ينظر للخارج ثم يتحدث دون أن يلتفت) .

الطبيب : چــو ..

چــو : ماذا هناك ؟

الطبيب : سمعت أنك راحل .

چــو : نعم ، انى راحل بالفعل هذه المرة .

الطبيب : الى أين ؟

چــو : لست أدرى . الى فريسكو أولا .

الطبيب : ألا يجمل بك أن تأخذ آمى معك ؟

(يتلفت حينئذ وينظر فى حدة الى وجه چو المشدوه) .

چـــو : مــاذا ؟

الطبيب : لقد سمعتنى ..

چـــو : لست أفهم ما تعنيه .

الطبيب : لقد جاءت آمى لزيارتى فى الأسبوع الماضى . لم أخبرها بما هى مريضة به لأنى لم أجــرؤ على ذلك . أجّلت مصارحتها بالأمر . أوه ، انه من السهل خداع امرأة . ولكنك لا تستطيع أن تخدع طبيبا يا چو (يخطو خطوة نحو چو وينظر الى وجهه فى صرامة) تونى ليس أبوه .. انه لا يمكن أن يكون ..

(فترة صمت طويلة) .

چـــو : (مغمغما) أوه ، يا الهى !

الطبيب : هذا ما اعتقدته . (فترة صمت أخرى طويلة) لقد كنت أحاول أن أتدبر كيف أجعل الأمور أخف وطأة عـــلى تونى . لقد ضايقنى ذلك أيما ضيق . ان الأطباء يصــــدمون أكثر مما تتصورون .. وفتاة مثل آمى أيضا .. لست أدرى ما يمكن عمله . وأظن أن هذا متروك لك ، وعليك أن تقطع فى الأمر .

چـو : يا لتونى المسكين !

الطبيب : كان ينبغى أن تفكر فيه قبل ذلك ، وفى آمى أيضا .

چـو : لم يكن هذا أمرا متعمدا . لقد حدث ذلك مرة واحدة ! ولكن صدقنى لم يدر بخلدنا أن نلحق بالعجوز تونى شيئا من هذا القبيل ، ولو من أجل مليون دولار !

الطبيب : كان فى مقدوركما ألا تتماديا فى هذا .

چـو : لقد جرى ذلك فى الليلة الأولى .

الطبيب : يا الهى !

چـو : نعم ، ذلك هو ما حدث تماما .. كانت هنـاك أسباب لا تعلم شيئا عنها . انى لوغد سـافل اذ أرتكب فعلة كهذه فى حق شخص كتونى .

الطبيب : هل أخبر تونى ؟ أو آمى ؟

چـو : كلا .. اعطنى فرصة للتفكير .

الطبيب : ليس ثمة سبيل الى اخفاء الأمر .. لا تحاول أى شىء من هذا القبيل . انى لن أسمح بذلك .

چـو : كلا .

الطبيب : ان هذا قد يقضى عليه .

(چو يهز راســه بشكل مروع . الطبيب، يستدير مزمعا الانصراف عندما تظهر آمى وهى تصدر أوامرها لانچلو وچورچيو) .

آمى : انزعا هذه اللافتة التى تقول : « مرحبـــا فى مدينتنا » ، وانقلا هـــذا الكرسى الى تحت الخميلة عند سيدكما (وهما يلتقطان الكرسى تلتفت الى الطبيب) انك تظن اذ تسمعهما أن تونى قد خرج لتـــوه من القبر (تعــود الى الايطاليين) ضعاه فى الظل . انتبها لهذا الطلاء . أيها الايطاليان الأصدفان [1] .. هو ذا (وقد اطمأنت الى مرور الكرسى عبر الدهليز تدلف الى غرفة النوم وهى تقول) انه يريد غطاء ؛ وكل ما يمكن أن تتصوره ..

الطبيب : (مخاطبا چـــو) دعنى أعرف ما اذا كان فى مقدورى عمل أى شىء .

(آمى تعود حاملة لحافا كبيرا سميكا وتتجه مباشرة الى الباب وهى تدندن فى سعادة . تتوقف عند الدهليز وتتحدث عبر النافذة مخاطبة چو الذى يطبق عليـه الصمت والذهول) .

---

(١) أى ذوات الأقدام المشوهة .

آمي : هلا ناولتني هذه الصحيفة ؟

چـو : (مذعنا) ها هي ..

آمي : (في المدخـــل ، وقد ضمت بين يديها بعض الصحف و « كوفية » ، تلحظ وجهه) يا الهي ! انك لتبدو ضاريا ..

چـو : (في صوت مختنق) آمي ..

آمي : ماذا هناك ؟

چـو : لابد أن أراك على الفور . لابد أن أراك على انفراد .. (تحـاول أن تتكلم . يظهر لنا أنه أخافها) يا للعنة .. أوه ، يا للعنة ..

آمي : ماذا دهاك ؟ لماذا ترعبني بهذه الصورة ؟

چـو : آمي .. منذ دقيقة واحدة ..

آمي : هيا أفصح بسرعة . اني لا أحب الانفراد بك هكذا .. انه يجعلني أتذكر ، وأنا أريد أن أنسى كل شيء .

چـو : نعم ، وأنا .. وهذا ما أعنيه .

آمي : مـاذا ؟

چـو : (بعد صمت مروع) سوف تنجبين طفـــلا (تحملق فيه غير مصدقة ، ودون أن تنبس بأي صوت) نعم .. هو ذلك يا آمي .. لكم أشعر

بالأسف .. أخبرنى الطبيب بذلك لتوه .. لقد اكتشف ذلك أثناء زيارتك له فى الأسبوع الماضى .. عرف كل شىء .

آمى : (تقف لحظة دون حراك ، وفجأة ينزلق اللحاف والصحيفة الى الأرض وتتقلص يداها على بطنها) أوه يا الهى ! .

(تلتقط اللحاف والصحيفة فى حذر وتضعهما على المنضدة ثم تتهالك على أحد الكراسى كما لو كانت ركبتاها قد خانتاها . وجهها يتقلص رعبا) .

آمى : وماذا سأفعل ؟

چو : لقد فكرت ..

آمى : اذا أخطأ المرء فسوف يجنى ثمرة خطئه ان آجلا أو عاجلا .. ولقد جنيتها عاجلا .

چو : الحديث بهذه الطريقة لا يجدى .

آمى : انى راضية بذلك ، فلقد نلت جزائى .

چو : هناك وسائل كما تعرفين .. هناك الطبيب .

آمى : (تهز رأسها بعنف) ذلك النوع من الأطباء لا خير فيه .

چـــو : ولكن ربما ..

آمي : لا جدوى منهم .. لقد انقضى وقت طويل .. انى أعرف ذلك .. وعلى أى حال فان ارتكاب ذلك أسوأ من غيره .

چـــو : انى آسف يا آمى .

آمي : أسفك لا فائدة منه على أى حال . انى أفكر فى تونى .

چـــو : وأنا كذلك .

آمي : ان تونى شاب لطيف رغم أنه مهاجر .

چـــو : نعم ..

آمي : (فى صوت عال يشوبه اليأس) ماذا سأفعل ؟ ماذا سأفعل ؟

چـــو : هاى ! لا ترفعى صوتك هكذا !

آمي : ولكنى لا أملك نقـــودا .. لا أملك ســـوى قرطى .

چـــو : ان لدى الكثير من النقود .

آمي : أنت ؟

چـــو : لقد جعلنى تونى أدخرها .. انها فى البنك .. أكثر من مائتى دولار . سوف تساعدك عـــلى اجتياز الأزمة .

آمى : لسوف يجن تونى .. سوف يجن فعلا .

چـو : لقد طلب منى الطبيب أن أرحل بك .

آمى : أنت ؟

چـو : نعم .. وصدقينى يا آمى ؛ سوف أفعل أى شىء ..

آمى : ان رحيلى معك ليس حلا على أى حال .

چـو : سوف أرعاك يا آمى .

آمى : يا لتونى المسكين !

چـو : سوف أفعـل ما يقتضيه الواجب ولو كلفنى ذلك حياتى .

آمى : لا بد أننى جننت فى تلك الليلة .

چـو : لقد جن كلانا .. ولكن لا فائدة من هـذا الكلام الآن .

آمى : كلا .. لسوف يجن تونى (ترفع رأسها وقد أدركت المصير المحتوم) .
أعتقد أن الطبيب على حق . أظن أنه لابد لى من الرحيل معك .. لابد أن يساعدنى أحـد ما على اجتياز هذه الأزمة .. وليس هناك غيرك .

چـو : وهو كذلك .. انى مستعد .

آمى : وبعد ذلك .. أوه ، يا الهى ! لسوف يعتقد
تونى دائما .. أنى وأنت .. أوه !
(يبدو صوتها مفعما بغم لاحد له) .
يا لتونى المسكين ! لا تتصور كم كان لطيفا
وطيبا معى . وكان طوال الوقت يتلهف شوقا
على انجاب طفل .. أوه ، لا يمكننى البقاء هنا
مطلقا ! لابد لى من الرحيل . لابد من الرحيل .
لابد من الرحيل بأقصى سرعة .

چــو : انى مستعد اذا رغبت فى ذلك .

آمى : سأحزم حقيبتى فحسب .

چــو : هونى عليك يا آمى (يحاول أن يمسك يدها) .

آمى : (تصده فى شدة) لا داعى لهذا ! لست فى حاجة
الى العطف !

چــو : أرجو المعذرة .

آمى : يحسن بك أن تجهز نفسك .

چــو : وهو كذلك .. سوف أعود فى ظرف دقيقة .

آمى : ولسوف أستعد أنا أيضا .

(آچى يدخل بالأطباق من أجل العشاء
ويشرع فى وضعها على المائدة . يبدو على
چو أنه يريد أن يقول شيئا آخر ، ولكنه

يحجم لدخول آجى . يخرج بسرعة . آمى تستمع لآچى وترقبه لحظات كما لو كانت عاجزة عن ادراك ما يفعله) .

آچى : (وهو يصف الأطباق) لسوف يكون عشـاء عظيما الليلة يا سيدتى . فاصوليا ولحم مشوى وفطيرة تفاح !

تونى : (مناديا من الخارج) ايه ، چو ! چو ! الى أين أنت ذاهب هـكذا ؟ آمى ! أين أنت يا آمى ؟ (يصعد الى الدهليز) آه ! هذا أنت !

آچى : أوه يا سـيدى . انه لعشاء عظيم الليلة . فطيرة تفاح .

تونى : (فى سرور) آه ! فطيرة تفاح !

(آچى يدخل الى المطبخ .تونى يستند الى البـاب) .

آمى ! لماذا لم تعودى ؟

آمى : (وقد تصلبت يداها فى قنوط على مؤخرة أحد الكراسى) لست أدرى !

تونى : لقد تركتنى وحيدا طوال هذا الوقت .

آمى : جئت من أجل الصحف و ..

تونى : ... حتى چو أصابه الخبل ؛ ولم يقل لى شيئا حينما سألته : « ألى أين أنت ذاهب هكــذا يا چو ؟ »

آمى : ان چو راحل .

تونى : أراحل دون أن يقول لى وداعا ؟

آمى : لست أدرى .. ربما كان كذلك .

تونى : ان هذا الفتى ليسبب لى تعاسة فائقة . لقد كنت أحب چو كما لو كان ابنى ، فكيف به يرحــل بهذه الصورة .. انه ليس طيبا .

آمى : ان الذين لا تتوفر فيهم الطيبة لا يستحقون أن يؤبه بهم ، بل ينبغى أن نتركهم يرحلون وننسى كل شىء عنهم .

تونى : ليس هذا بالسهولة التى تتصورينها يا آمى . لقد كنت أحب چو كابنى .

آمى : چو ليس أسوأ من أناس آخرين يمكن ذكرهم .

تونى : انى أحب چو ، ولكنه لا يحبنى .

آمى : أنا أحبك يا تونى ! أنا أحبك !

تونى : أعرف يا آمى . أعرف .

آمى : ولن تصدق أنى سأحبك بعد ذلك ؟

تونى : عم تتحدثين يا آمى ؟

آمى : لقد حدث شىء ما ياتونى !

تونى : اه ؟

آمى : انه شىء سوف يفقدك صوابك .

تونى : آمى !

آمى : (متشجعة) انه سوف يصيبك بالجنـــون بالتأكيد ، ولكننى سأخبرك بكل شىء يا تونى ، لأنى لا أريدك أن تظن فيما بعد أننى لم أكن معترفة بفضلك أو أننى لم أكن سعيدة هنا .. أسعد مما كنت طوال حياتى ..

تونى : آمى !

آمى : انتظر لحظة .. ينبغى أن أعترف لك يا تونى . يتعين على أن أخبرك بكل شىء حتى لا تظن أننى كنت أسوأ مما أنا عليه ..

تونى : آمى !

آمى : نعم .. وانى لا أريدك أن تلوم چـــو أكثر مما تلومنى ، وعلى أى حال لقد كنت قمينا بأن تكشف كل شىء ان آجلا أو عاجلا ، ولسوف يكون تأثرك فى النهاية أقل بكثير اذا ما أخبرتك

بالحقيقة الآن ، لابد من أن أقول لك الحقيقة على أى حال . انتظر لحظة يا تونى ! سـوف أخبرك بالحقيقة ؛ وبعد أن أرحل ولا تعـد ترانى مرة أخرى يمكنك أن تقول : « حسنا ، انها لم تكن صالحة ؛ ولكن هذه ليست غلطتى » لأنها لم تكن غلطتك يا تونى .. لم تكن غلطتك فى كثير أو قليل . وانى ما كنت لأرحـل على الاطـلاق ولو من أجـل مليون دولار لولا ما حدث ..

تونى : آمى ؛ ما هذا الذى تقولينه عن الرحيل ؟

آمى : هذا ما أحاول أن أشرحه لك يا تونى ، عليك فقط أن تعطينى الفرصة ، لأن الافضاء اليك بهذا الفعل ليس أسهل علىّ من الرحيل عن هنا . يتحتم على أن أرحل . ولكن ليس ذلك لأنى لم أعد أحبك . بل انى أحبك . وليس لأنى لم أقدّر كل ما فعلته من أجلى . فأنا لن أنسى شيئا مما فعلت ، ولن أنساك ، ولن أنسى هذا المكان ..

تونى : آمى !

آمى : استمع الى يا تونى ! لســــوف تلقى بى الى الخارج حينما تسمع ما أريد أن أقوله لك ؛ ولكنى لا أهتم اذا فعلت ذلك . اننى أنتظـر مولودا يا تونى .. وانه .. يا الهى ساعدنى .. انه ابن چو .

تونى : (رافعا عكازه وقد ندت عنـه صرخة غضب عالية) آه !

آمى : ألم أقل لك انك ستلقى بى الى الخارج .

تونى : (فى صوت متهدج) يا الهى ! يا الهى ! كلا : آمى ، أتهذرين معى ؟ اه ؟

آمى : كلا ، انى لا أهذر .. بل هى الحقيقة .. وهذا ما سأرحل من أجله يا تونى .

تونى : (متقدما نحوها بينما هى تتقهقر أمامه) لقد كنت عشيقة چو !

آمى : كنت مجنونة !

تونى : كنت عشيقة چو !

آمى : كنت مجنونة .

تونى : كنت تحبين چو !

آمى : كلا .. لم أكن أحبه .. لم أكن أحبه .. بل انى لم أحبه قط . صدقنى ، قط ! لقـــد كنت مجنـــونة .

تونى : لقد كنت كما قال عنك القس تماما .. أنت مومس .

آمى : كلا .. انني مستقيمة طول حياتى . فيما عدا تلك الليلة ..

تونى : أية ليلة ؟

آمى : أول ليلة لمجيئى هنا .

تونى : ليلة زواجك منى !

آمى : انى لم أتحدث مع چو منفردة منذ تلك الليلة .

تونى : أنت تكذبين !

آمى : أقسم بالله أنى لا أكذب ! انى لم أنفرد به مرة واحدة ! لم أنفرد به سوى اليوم بعد أن أخبره الطبيب عما سوف يحدث .

تونى : أنت تكذبين علىّ . لقد كنت عشيقة چو !

آمى : لم أكن يا تونى ! هذا هو ما أحاول أن أخبرك به . انها الحقيقة التى أحاول أن أخبرك بها ، والآن انى راحلة .

تونى : راحلة مع چو ؟

آمى : يا الهى ، وماذا فى مقدورى أن أفعل غير ذلك ؟

تونى : (فى حنق يرغمها على التقهقر الى الركن حيث تبدو بندقية الرش معلقة وهو يرغى ويزبد طوال الوقت وقد اســـتولى عليه غضب أحمق) لن أدعك تفلتين .. لن أدعك تفلتين ! بحق الآله سوف أقتل ذلك الفتى چـو ! هذا اللقيط ، چو ! لسوف أقتله وأدعك ترين كيف أقتله . عليك اللعنة أيتها السافلة ..

(يلتقط البندقية ويثنيها ليعمرها) .

آمى : (متحدثة فى نفس الوقت) كلا .. لا تفعـل يا تونى ! لا تفعل أمراً كهذا الآن ، انك سوف تأسف على ذلك ، أنت تعرف ما سوف يلحق بك اذا فعلت ذلك ! أنت تعرف ما سيحدث لك يا تونى ليس هكذا يكون التصرف ! ستندم ! ستندم !

تونى : أيتها السافلة ! .. انتظرى أيتها القذرة ..

(يلوح بالبندقية المثنيـة . تغطى عينيها بيديها . چو يصل ويرى ما يفعله تونى ،

يصرخ قافزا نحوه ثم يلوى البندقية بعيدا.
الصراع يفقد تونى توازنه فينكفىء على
وجهه بعيدا عن العكازين . آمى تصرخ).

آمى : أوه ، ساقه !

(چو يلقى بالبندقية وينحنى فوقه) .

چــو : لقد حاولت أن أمسك به .. (تونى يجأر
بصوت مفزع) هل أصبت بأذى يا تونى (تونى
يلفظ بكلمات غير مفهومة) .

آمى : (وهى تجذب مقعدا) بالله ارفعه ، ألا تستطيع ؟

چــو : (تونى يحاول صده ولكنه يتهالك فى المقعد
وهو يصرخ من الألم والغضب) .
لا بأس يا تونى ! فلتهدأ !

آمى : تونى .. تونى .. (تركع بجواره . صرخات تونى
الهائجة تهدأ رويدا حتى تتحول الى أنين) .
كان يتعين علىّ أن أخبره ! أوه ، يا الهى كان
يجب علىّ فعلا أن أخبره !

چــو : انه لم يصب بأذى كبير .

(آهات تونى تتحــــول الى نوبات من
النحيب) .

آمى : ان هذا فظيع .

چـــو : اجمعى أشياءك ، ولننسحب من هنا . يمكننا أن نبعث بالقس ليرعاه .

آمى : لن آخذ معى سوى حقيبتى الصغيرة يا تونى سوف أترك القرط على المزينة [1] .

(تذهب الى غرفة النوم بسرعة . يواصل تونى نحيبه فى صورة تعسة مفزعة) .

چـــو : تونى ، انى ..

(تونى يقفز مرةأخرى فى هوس ويقبض على رقبة چو الذى يروغ منه ثم يجرى بسرعة الى المنضـــدة حيث يتناول كأس نبيذ ويعود به الى تونى . تونى يدفع الكأس ســاكبا النبيـذ على قميصــه . چو يلقى بالكأس) .

تونى : آمى ! آمى ! آمى آمى !

آمى : (تعود مرتدية قبعتها وواضعة معطفها عـلى ذراعها . حقيبتها الصفراء نصف مفتــوحة والملابس بارزة منها) .

هأنذا يا تونى . هأنذا .

تونى : الى أين أنت ذاهبة يا آمى ؟ الى أين أنت راحلة من هنا ؟

(١) قمطر به مرآة للتزين ، (التسريحة) .

آمى : لست أدرى .. ربما الى فريسكو .

تونى : (ينتحب فى مرارة) أنت ذاهبة لتعيشى مع چو ؟

آمى : (فى بؤس مبهم) لست أدرى .. كلا .. لست أزمع العيش مع چو مهما حدث .. لن أعيش معه .

تونى : من ذا الذى سيرعاك يا آمى ؟

چو : أنا يا تونى . لسوف أفعل ما يحتمه الواجب مهما تطلّب منى من تضحية .

تونى : أنت ؟ .. أنت ؟ .. أوه، يا الهى ! يا الهى ! كلا! كلا !

چو : هيا يا آمى بحق الله !

آمى : انى آتية .

تونى : (رافعا يده ليوقفها) ألست فى حاجة الى نقود يا آمى ؟

آمى : هذا لا يهم .

تونى : بالطبع !

چو : ان معى الكثير .

تونى : كلا ! .. كلا ! كلا ! .. ان چو لا يصلح لرعاية امرأة وطفل !

آمى : لا ترع يا تونى .. أرجوك لا تقلق ! دعنى أذهب

وانس كل ما يتعلق بى . ليس ثمة فائدة من الحديث أكثر من ذلك .

تونى : لسوف يكون لك طفل !

آمى : يا الهى ، انى أعرف ذلك !

تونى : وكيف ستحصلين على النقود الكافية لتنشئته ؟ أخبرينى بذلك قبل أن ترحلى .

آمى : الله يعلم .. لست أدرى ..

تونى : سوف يهجرك چو سريعا ، فماذا يحدث بعد ذلك ؟

چو : أقسم أنى سأظل وفيا على عهدى ، يا تونى .

تونى : كلا ! كلا ! كلا ! لافائدة ! ان آمى ستنجب ابنا مصيره الشارع ! لا فائدة .

آمى : لا تقل ذلك ! بالله لا تقل ذلك يا تونى ..

تونى : ماذا سيحدث يا آمى ؟ ماذا سيحدث لك ؟

آمى : چو .. لست قادرة على أن أحتمل أكثر من ذلك .

تونى : (فى هوس) كلا ! كلا !! كلا !!! كلا !!!

آمى : دعنى يا تونى ! دع ثوبى !

تونى : لن ترحلى يا آمى ! لن ! لن ! سوف تبقين هنا مع تونى !

آمى : لا تتحدث بهذه الطريقة يا تونى ! لا فائدة .

تونى : كلا ! كلا ! استمعى لما يقوله تونى الآن .

استمعى يا آمى . انك لا تحبين چو . انك تحبين تونى . لقد كنت زوجة صالحة ، يا آمى ..

آمى : زوجة صالحة !

تونى : وكيف يستطيع تونى العيش بدونك ؟

چو : هيا !

تونى : آمى ، لقد فقدت سيطرتى على أعصابى منذ لحظة . معذرة ! لقد فكرت فى الأمر جيدا مرة أخرى . لن تذهبى مع چو . سوف تبقين هنا مع تونى كأن لم يحدث أى شىء .. وحينما يجىء ذلك الغلام ..

آمى : لا تتحدث بهذه الطريقة يا تونى !

تونى : ولم لا ؟

آمى : لأنه ليس هكذا يكون الحديث !

تونى : أجل .. أجل .. هذا ادراك حسن ! هذا هو ما يبغيه الكل هنا ! أنت وچو وأنا .. انظرى الى چو .. انه يريد أن يلحق بالعمال ، أليس كذلك ؟ فليذهب لعماله الملاعين . لا بأس .. وآمى .. آمى تريد البقاء هنا فى سلام وأمان فى هذا البيت البديع مع تونى . أليس كذلك ؟ (آمى تهز رأسها من خلال دموعها) انه كذلك

بالتأكيد . ثم انظـــرى الى تونى ، يا الهى ،
واسأليه عما يريده ؟ أليس يريد طفلا ؟

آمى : ولكن ليس هذا الطفل ، يا تونى .

تونى : وماذا يهم ؟

آمى : ولكن فكر فيما يقوله الناس !

تونى : وماذا يعنينى من قول الآخرين ؟ فلتقولى لهم انه ابن تونى ، كى يقول الجميع ان تونى صغير وقوى ، وأنه رغم كسر ساقيه استطاع أن ينجب ولدا ! .. هذا حسن ، اه ؟ أو لن تذهبى مع چو الآن ، يا آمى ؟ .. أوه .. آمى !

آمى : (وقد استمالها ، ولكنها تنظر اليه كما لو كان مجذوبا) كلا .. هذا لن يجدى يا تونى انك قد لا تعنى ذلك فيما بعد .. أنت مجنون ..

تونى : (فى رجاء أخير مفعم بالحنق) كلا ! كلا ! كلا !. (مستندا الى الخلف فى كرسيه ومتلفتا حوله فى أرجاء الغرفة) ما فائدة امتلاكى لهذا البيت الأنيق ؟ ما جدوى هذه الأموال التى جمعتها ؟ ليس هناك من سيؤول اليه بيتى وأموالى بعد وفاتى .. من أجل هذا أريد الطفل يا آمى . ان چو لا يريده . تونى هو الذى يريده . آمى .. آمى .. بحق الله لا ترحلى وتتركى تونى !

آمى : لكن يا تونى ! هل فكرت فيما فعلت ؟

تونى : ان ما فعلته كان غلطة فى التفكير ، وليس غلطة فى القلب .. وغلطات الفكر لا يؤبه لها .

تونى : انك — انك لا تخدعنى ، أليس كذلك ؟ .. أنت جاد ، أليس كذلك يا تونى ؟ سوف تظل على هذا الاعتقاد فى المستقبل ، أليس كذلك يا تونى ؟ . (تتقدم نحوه فى بطء تلقى بذراعيها حول رقبته وتضم رأسه الى صدرها . فترة صمت طويلة) حسنا يا چو ، أظن أنه يحسن بك أن ترحل .

چـــو : أتعنين ذلك ؟

آمى : أظن أنه يحسن بك أن ترحل .

(چو يعتدل فى ارتياح كبير) .

چـــو : حسن (يلتقط حقيبته التى كان قد وضعها حين دخل) أعتقد أنك على حق (يعدل قبعته ويقف لحظة فى المدخل وقد علت وجهه ابتســـامة عريضة) أعتقد أنه ما من أحد منا يعترض على ذلك .. على الاطلاق ..

(ينصرف فى بطء) .

آمى : (رافعة وجهها) كلا .

(تونى يضمها الى صدره ، بينما يسدل الســـتار) .

النهـــاية

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٦٣ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلـوبى	سومرست موم
٦	الغـربان	هنرى بك
٧	اليـكترا	جان جيرودو
٨	توركاريـه	ر · لوساج
٩	الـدائرة	سومرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة الغادرة	جون جالزوورذى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى بروتس	ج · م · بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابـلر	هنريك ابسن

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٩	سباق المشاعل	بول هارفيبه
٢٠	كنـــوك	جول رومان
٢١	جـــونو والطاووس	شبين اوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا البـــا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين اونيل
٢٥	مأســاة الدكتور فوستس ..	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة المـــوتى	اروين شو
٢٨	ماتعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	اهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية ...	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	چورج برناردشو
٣٢	القيثارة الحـديدية	جوزيف اوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية ...	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عنـدما نبعث نحن الموتى ...	هنريك ابسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمان
٣٧	سيجفريد	چان جيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجر الدردار ...	يوجين اونيل
٤٠	حـورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خـــدماتهم	سومرست موم

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزانـد	موريس ماترلنك
٤٤	الالـه الكبير براون	يوجين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلي
٤٦	آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثيا لوركا
٤٨	الخاطبة	ثورنتن ويلدر
٤٩	اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	القصى	ترنتيوس افـير
٥١	فترة التوافق	تنيسى وليامز
٥٢	بـسيرجينت	چون جلزورذى
٥٣	الابن الأكبـر	چون جلزورذى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورينمات
٥٥	ديدرى فتـاة الأحزان	چون ميلنجتون سينج
٥٦	المسافر بلا متـــاع	چان انوى
٥٧	الحــــالة	المر رايس
٥٨	كلهم أولادى	آرثر ميلر
٥٩	أوندين	جونهولد افرايم لسينج
٦٠	ميناڤون بارنهلم	جان جيرودو
٦١	معطف الفراء	جرهارت هاوبتمان
٦٢	كرنفال الأشباح	موريس دوكوبرا
٦٣	«هو» الذى يصفع	ليونيد أندرييف
٦٤	فتى الغرب المدلل	جون ملنجتون سينج
٦٥	قواعـد المبارزة	لويجى پيراند يللو

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : **مكتبة الخانجى بالقاهرة**
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت